مكتبة المقريزي الصغيرة : ٣

الذهب المسبوك
في ذكر من حج من الخلفاء والملوك

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي

نشره لأول مرة

عن مخطوطات الاسكوريال واستانبول وباريس

وحققه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه

الدكتور

جمال الدين الشيال

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعة الاسكندرية

الناشر

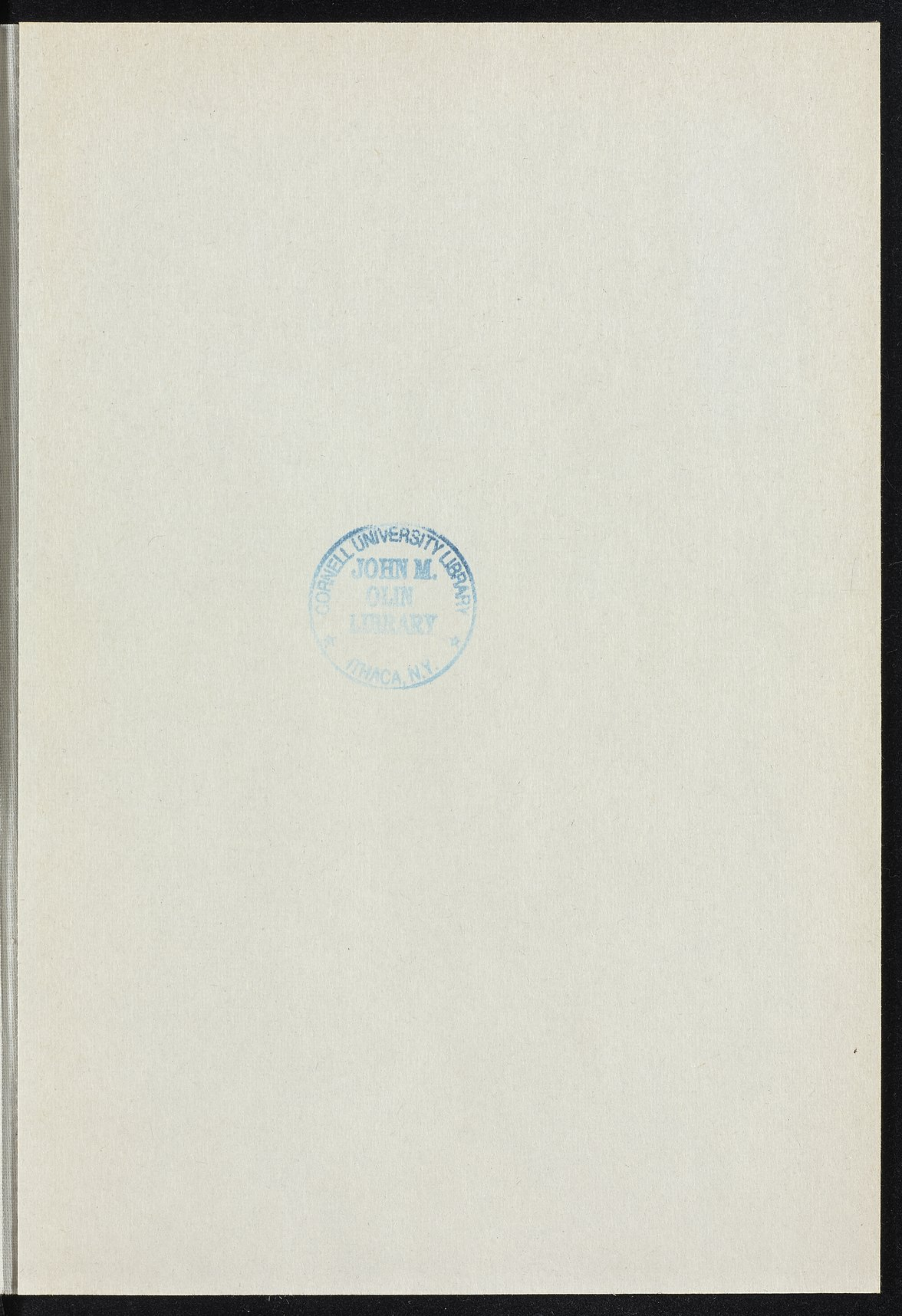
مكتبة الخانجي بمصر

ومكتبة المثنى ببغداد

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٥٥



مكتبة المقريزى الصغيرة : ٣



الذهب المسبوك

فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك

تأليف

تقى الدين أحمد بن على المقريزى

نشره لأول مرة

عن مخطوطات الاسكوريال واستانبول وباريس

وحققه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه

الدكتور

جمال الدين الشيال

أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد بجامعة الاسكندرية

الناشر

مكتبة الخانجى بمصر

ومكتبة المثنى ببغداد

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٥٥


CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
ITHACA N.Y.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة الناشر

— ١ —

هذا ثالث كتاب نخرجه فى مكتبة المقريزى الصغيرة ، فقد سبقه كتابان آخران : « نحل عبر النحل » وطبع فى سنة ١٩٤٦ ، و « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » وطبع سنة ١٩٤٨ ؛ أو هو على الأصح رابع كتاب نخرجه فى هذه المجموعة ، فقد قمنا فى سنة ١٩٤٠ بنشر كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة »[1] بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة .

وقد طالت المدة بين ظهور آخر كتاب فى هذه المجموعة وهو « اتعاظ الحنفا » و بين ظهور هذا الكتاب حتى بلغت سبع سنوات طوالا ، كان الأصدقاء الكرام والمؤرخون المعنيون بالمقريزى وآثاره دائبى السؤال والكتابة إلىّ خلالها يستحثوننى العمل السريع لإخراج هذا الكتاب وغيره من كتب هذه المكتبة الصغيرة .

---

(١) نفدت نسخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب منذ سنوات ، وقد قررت لجنة التأليف والترجمة والنشر أخيراً إعادة طبعه ، وسندخله ضمن المكتبة الصغيرة ليحمل رقم ٤ .

وإنى لألتمس من حضراتهم جميعا المعذرة فقد شغلت خلال هذه السنوات عن المقريزى ومكتبته بأعمال تاريخية أخرى لا تقل أهمية عن كتيبات المقريزى ، جعلت هذه السنوات السبع بحمد الله سنوات سمانا لا عجافا ، فأخرجت الجزء الأول من « مفرج الكروب بأخبار بنى أيوب[1] » لجمال الدين بن واصل ، وأتممت الجزء الثانى منه وأرسلته للمطبعة ، كما أعددت كذلك الجزء الأول من « مجموعة الوثائق الفاطمية » للطبع[2] .

— ٢ —

وقد كنت حصلت أول الأمر على نسختين من هذا الكتاب ، الأولى تضمها مجموعة رسائل المقريزى بالمكتبة الأهلية بباريس ، رقم ١٩٣٨

---

(١) نشر سنة ١٩٥٣ ضمن مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم التابعة للإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم ، والجزء الثانى فى المطبعة الآن .

(٢) يضاف إلى هذا بعض المقالات والكتيبات الصغيرة ، أذكر منها :

— مجمل تاريخ دمياط ، مطبعة مدرسة دون بوسكو بالاسكندرية ، ١٩٤٩ ؛

— الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، القاهرة ١٩٥٢ .

—The Fatimid Documents as a Source for the History of the Fatimids and their Institutions (Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University Vol. VIII, 1954, pp. 1-12).

—The Arabic Historical Works published in Egypt and the Near East during the Last Five Years (1945-1950) (in) The Proceedings of the Egyptian Society of Historical Studies. vol I. 1952.

وتوجد منها صور شمسية بمكتبة جامعة الاسكندرية تحت رقم ٢٣١٠ ب ، وهذه المجموعة تحتوى على ١٥ رسالة أو كتاباً صغيراً ، أولها كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، وآخرها رسالة « حل لغز الماء » .

والمجموعة تقع فى ٢٦٦ ورقة ، أى ٥٣٢ صفحة ، فى كل صفحة ٢٥ سطراً ، ومقاس المساحة المكتوبة ٧ × ١٤٫٥ سم . وكتاب « الذهب المسبوك » هو الكتاب السادس فى هذه المجموعة ، ويقع فى ٢٩ ورقة (من ١٠٢ إلى ١٣١) أى فى ٥٨ صفحة .

وهذه المخطوطة كتبت بالخط النسخى العادى ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) فقد كتب على الصفحة الأولى منها :

رسائل الإمام المحدث خاتمة الحفاظ

وقدوة المؤرخين العلامة تقى الدين

أحمد المقريزى الشافعى رحمه

الله وأدخله الجنة بمنه

ونفعنا به وبالصالحين

من عباده

آمين

وإلى الجانب الأيمن من هذا العنوان تمليك نصه :

« ساقه القدر لعبده أفقر البشر محمد السادات ،

عفا الله عنه ووالديه »

وتحت هذه العبارة خاتم نقش عليه :

محمـــــــد

أبو الأنوار

١١٩٥

وقد رمزت لهذه النسخة فى الحواشى بحرف « ب »

أما النسخة الثانية فتضمها مجموعة أخرى لرسائل المقريزى توجد بمكتبة ولى الدين باستانبول ، رقم ٣١٩٥ ، وتحتوى على ١٥ رسالة ، أولها : « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، وآخرها : « حل لغز الماء » . غير أن بقية الرسائل رتبت ترتيباً آخر يختلف عن ترتيبها فى مجموعة باريس . وكتاب « الذهب المسبوك » هو الكتاب الخامس فى هذه المجموعة .

وهذه المخطوطة ، وتوجد منها صور شمسية بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٢٤٧ ، تقع فى ٢٠١ ورقة ، أى ٤٠٢ صفحة ، بكل صفحة ٢٥ سطراً ، ومقاس المساحة المكتوبة فى كل صفحة ١٦ × ٥ر١٦ سم . وقد كُتِبت بالخط النسخى الجميل فى جدة سنة ١١٠١ هـ .

وكتاب « الذهب المسبوك » يبدأ بالورقة ٦٤ وينتهى بالورقة ٨٥ ، أى أنه يقع فى ٤٢ صفحة .

وقد بدأت فاعتمدت نسخة استانبول أصلا للنشر لأنها أقدم من

نسخة باريس ، ولأن هذه الأخيرة بها سقوط كثيرة[1] وأثبت الفروق بين النسختين فى الهوامش دائماً .

و بعد المقابلة وضبط النص حصلت على نسخة ثالثة من الكتاب أخذت عن نسخة خطية بمكتبة الأسكوريال ، وتوجد منها صور شمسية بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، و بمقابلتها بالنسختين السابقتين وجدت أنها تفضلهما فى كثير ، فهى أضبط منهما وأصح وأكمل ، وهى إلى هذا كله أقدم منهما ، فهى ترجع إلى أواخر القرن التاسع الهجرى (١٥ م) ، وقد نصّ ناسخها فى حَرْد الكتاب على أنه نقلها عن أصل بخط مؤلفه[2] ، لهذا عُدْت فقابلت النص كله على النسخة الجديدة ، وأثبت الفروق والملاحظات فى الهوامش .

ونسخة الإسكوريال تقع فى الصفحات من ٢٢ ب إلى ٧٥ ب ، أى فى ٨٦ صفحة ، و بكل صفحة ١٥ سطراً ، ومقاس المساحة المكتوبة ٦ × ٥ ر ١٢ سم ، وقد رمزت لها فى الحواشى بحرف « ل » .

— ٣ —

وقد اعتاد نسّاخ المخطوطات الثلاث تبسيط الهمزات فى الكلمات المهموزة ، مثل « أعدا ، وحايزة ، والذخاير ... الخ » ولكننى لم أتقيد

---

(١) انظر مثلا : ص ٩ ، هامش ٤ ؛ ص ١٣ ، هامش ١ ؛ ص ١٧ ، هامش ٢ ؛ ص ٣٥ ، هامش ٣ — الخ .

(٢) انظر ص ١٢١ ، هامش ٢ .

بطريقتهم ورسمت هذه الألفاظ وغيرها مهموزة دون أن أشير إلى ذلك فى الهوامش — لكثرتها — كما أننى آثرت — عند الطبع — استعمال علامات الترقيم الحديثة ليتضح بها المعنى ، ولتسهل قراءة النص قراءة صحيحة .

وقد أشار المقريزى فى المتن إلى بعض المراجع التى أخذ عنها حيناً وأهمل الإشارة حيناً آخر ، فمما أشار إليه كتاب « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير ، وكتابا : « حجة رسول الله »[1] و « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ، وكتاب « الحلية » لأبى نعيم .

وقد لاحظت أن الطبرى كان يلتزم أن يشير فى آخر كل سنة إلى مَن خرج للحج مِن الخلفاء فى عهود الراشدين والأمويين والعباسيين ، ثم

---

(١) ذكر المقريزى فيما يلى هنا ، ص ٥ أن ابن حزم أفرد لحجة رسول الله مصنفا جليلا ، وقد بحثت فى المعاجم والفهارس فلم أوفق للعثور على هذا الكتاب أو ذكر له ، وإنما ذكر صاحب كشف الظنون أن لابن حزم كتابا آخر عنوانه « الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية » ، فلعله هو الذى قصده المقريزى وأشار إليه ونقل عنه . ويبدو من هذا الكتاب وغيره أن المقريزى كان من المعجبين بابن حزم ومؤلفاته ، فهو يرجع إليها كثيراً ، ولتأكيد هذا الرأى انظر : (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٢٢) و (التبر المسبوك ، ص ٢٢) .

وبعد كتابة هذه المقدمة ، وأثناء قيامى بتصحيح تجارب الطبع علمت من صديقى المحقق الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهوانى أن كتاب ابن حزم عن حجة الرسول عنوانه « حجة الوداع » ، وأن معهد المخطوطات العربية الملحق بالجامعة العربية قد حصل أخيراً على فيلم يصور مخطوطة هذا الكتاب ، ولكننى لم أوفق للأسف للاطلاع عليه بعد .

سار على نهجه ابن الأثير ، وإلى الأخير رجع المقريزى هنا ، وعنه نقل مع تغييرات يسيرة من إيجاز أو إطناب ، لهذا اعتبرت تاريخى الطبرى وابن الأثير مرجعين ثانويين وعُدْت إليهما لمقابلة النص وتصحيحه ، كما رجعت أيضاً لكتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ، وكتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم ، وكتاب « السلوك » للمؤلف ؛ وأشرت إلى المقابلة بين النص الأصيل وبين نصوص هذه المراجع فى الهوامش .

وقد أشار المقريزى هنا إلى عدد كبير من مؤلفاته الأخرى ، لينبئ القارئ أنه أوجز هنا عند حديثه عن بعض الموضوعات أو الشخصيات ، وأنه أطال فيها فى هذه المراجع الأخرى ؛ لهذا وضعت عند طبع هذا الكتاب خطا تحت أسماء المراجع التى نص المقريزى على أنه رجع إليها وأخذ عنها ، وتحت أسماء كتبه الأخرى التى أشار إليها ، ثم أفردت لجميع الكتب التى ذكرت فى المتن فهرساً خاصا مع فهارس الكتب الأخرى .

ويلاحظ أن المقريزى يحيل القارىء هنا كثيراً إلى معجم تراجمه الكبير « المقفى » وذلك لأنه ترجم فى « المقفى » لكل الأعلام الذين برزوا فى تاريخ مصر ممن عاشوا فيها أو زاروها ، وكثير من الخلفاء والملوك الذين ترجم لهم هنا ترجمات مختصرة لهم ترجمات مطولة مفصلة فى « المقفى » ، لهذا كان يحيل القارئ عادة على كتابه الآخر الكبير إن كان يطلب المزيد من المعرفة ، وقد نص عند الكلام عن ثمانية من الخلفاء والملوك على

أنه ترجم لهم ترجمات مطولة فى « المقفى » ؛ من هؤلاء ثلاثة من الخلفاء وهم : مروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، وعبد الله المأمون ؛ وخمسة من الملوك هم : الملك المعظم توران شاه ، والملك المعظم عيسى ، والملك الناصر داود ، والملك المسعود يوسف (اطسز) ، والملك الظاهر بيبرس .

أما أسماء الأعلام وأسماء المواقع والبلدان والألفاظ الاصطلاحية فقد ضبطتها بالشكل وقدمت لها فى الحواشى شرحاً أو تعريفاً ، مع الإشارة دائماً إلى المراجع التى أخذت عنها ليرجع إليها من أراد التأكد أو الاستزادة ، ثم ألحقت بالكتاب فى نهايته مجموعة وافية من الفهارس تيسر للباحث الرجوع إليه والإفادة منه ، فإنى أعتقد أن الكتاب المنشور يفقد الحياة إذا فقد هذه الفهارس التفصيلية ، وقد أضفت للفهارس المعروفة ثلاثة فهارس جديدة تدل القارئ على أسماء الأعلام وأسماء البلدان والألفاظ الاصطلاحية التى عرفت بها أو شرحت فى الحواشى .

— ٤ —

والكتاب بعد هذا يتناول موضوعاً طريفاً ، فهو يؤرخ لكل من حج من الخلفاء والملوك ، وقد بدأ المؤلف بالتأريخ لحجة الرسول عليه السلام المعروفة بحجة الوداع ، ثم قسم الكتاب قسمين ، أرخ فى القسم الأول لمن حج من الخلفاء مدة خلافته ، ويتبين من حديثه أن الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول قد حرصوا دائماً على أداء فريضة الحج ، بل إن منهم من كان يحج كل سنة من سنوات خلافته ، كما فعل عمر بن الخطاب ، فقد حج

سنيه كلها — وهى عشر سنين — ما عدا السنة الأولى فى بعض الأقوال ؛ وكذلك فعل عثمان ، فقد حج فى سنى خلافته كلها ، وهى إحدى عشرة سنة ، ما عدا السنتين الأولى والأخيرة ؛ أما على بن أبى طالب فلم يحج فى خلافته لاشتغاله — كما يقول المؤلف — بحرب الجمل وصفين .

وقد اعترف المقريزى بخلافة عبدالله بن الزبير ، ولهذا سلكه فى سلك الخلفاء الذين حجوا ، وذكر أنه حج بالناس ثمانى حجج .

أما خلفاء بنى أمية فلم يحج منهم أثناء خلافته إلا خمسة ، وهم : معاوية بن أبى سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، والوليد وسليمان وهشام أبناء عبد الملك . ومنهم من حج أكثر من مرة مثل معاوية وعبد الملك ، أما الثلاثة الآخرون فقد حجوا مرة واحدة .

أما خلفاء بنى العباس فى بغداد فلم يحج منهم إلا ثلاثة من خلفاء العصر الأول ، وهم : أبو جعفر المنصور ، وأبو عبدالله المهدى ، وهارون الرشيد .

أما خلفاء العصر العباسى الثانى فقد شغلتهم حياة الترف والانقسامات الداخلية وضعف الدولة عن أن يفكروا فى الخروج إلى الحجاز لأداء الفريضة ، بل لعل ثورات القرامطة الذين اجترأوا على مهاجمة الكعبة وسلب الحجر الأسود ، وقيام الدولة الفاطمية فى مصر وسيطرتها على الحجاز ، لعل هذا كله من العوامل التى حجبت الخلفاء العباسيين ومنعتهم من الحج .

ولم يحج من خلفاء العباسيين بالقاهرة إلا أولهم ، وهو الخليفة

الحاكم بأمر الله العباسى ، فقد طالت مدة خلافته بمصر حتى بلغت أربعين سنة ، وحجّ فى سنة ٦٩٧ فى عهد سلطنة الملك المنصور لاچين .

وهناك ظاهرة تستحق الالتفات ، لا لأن المؤلف أشار إليها ، بل لأنه سكت عنها ، وذلك أن القارئ للكتاب يلاحظ أن أحداً من خلفاء الأمويين بالأندلس أو خلفاء الفاطميين بالمغرب ومصر لم يحج .

أما أمويو الأندلس فموقفهم واضح ، وعذرهم أوضح ، لأنهم لم يكونوا على علاقات طيبة مع الخلافتين العباسية والفاطمية اللتين تناوبتا الإشراف على الأراضى المقدسة بالحجاز ؛ لهذا كان من العسير أن يمر خلفاء الأندلس الأمويون بأراضى الخلافتين المشرقيتين فى طريقهم إلى الحج .

ولكن ماذا نقول فى موقف الخلفاء الفاطميين وقد كانت لهم السيطرة على بلاد الحجاز واليمن ؟ هل كان فى مذهبهم الشيعى الإسماعيلى ما يمنع الحج ؟ أغلب الظن لا ، فإن الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة ، والشيعة لا ينقضون ركناً من هذه الأركان .

ولكن الباحث يحار وهو يقرأ هذا النص عن خليفة من كبار خلفائهم وهو المستنصر بالله . يقول المقريزى فى كتابه « الخطط » عند كلامه عن « بركة الجب » أو « بركة الحاج » ، وهى أول موضع يبدأ منه الحجاج المصريون رحلتهم لأداء الفريضة :

« وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر بن

الحاكم ، فى كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة هذا — وهو موضع نزهة — بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل اللعب والمجانة ، وربما حمل معه الخمر فى الروايا عوضاً عن الماء ، ويسقيه مَن معه ؛ وأنشده مرة الشريف أبو الحسن على بن الحسين بن حيدرة العقيلى فى يوم عرفة :

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء
ولا تضح ضحى إلا بصهباء
وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم
إلى منى قصفهم مع كل هيفاء
وعُجْ على مكة الروحاء مبتكراً
فطف بها حول ركن العود والنائى»[1]

ترى هل كانت هذه الخرجة الماجنة الساخرة بالحج مقصورة على المستنصر وحده ، أم أنها كانت رمزاً يدل على رأى الفاطميين فى الحج ؟ مهما يكن من أمر فإن لدينا نصوصاً أخرى تدل على أن الفاطميين — وإن لم يخرجوا هم للحج — فإنهم عنوا عناية كبيرة بقافلة الحجاج من الشعب المصرى ، وأنهم كانوا يصرفون عليها بكرم وسخاء . روى المقريزى فى نفس المرجع نقلا عن كتاب الذخائر والتحف : « أن المنفق على الموسم

---

(١) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ ؛ ج ٣ ، ص ٢٦٦ .

كان فى كل سنة تسافر فيها القافلة مائة وعشرين ألف دينار ، منها ثمن الطيب والحلواء والشمع راتباً فى كل سنة عشرة آلاف دينار ، ومنها نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة أربعون ألف دينار ، ومنها فى ثمن الحمايات والصدقات وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار ، وأن النفقة كانت فى أيام الوزير اليازورى قد زادت فى كل سنة و بلغت إلى مائتى ألف دينار، ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك فى دولة من الدول »[1] .

— ٥ —

وفى القسم الثانى من الكتاب أرّخ المقريزى لمن حج من الملوك والسلاطين ، منذ أن انقسمت الخلافة إلى دويلات يحكمها ملوك إلى عهد السلطان الملك الأشرف شعبان أحد سلاطين المماليك بمصر . ولم يتقيد المؤلف فى اختياره بدولة ما أو ببلدة ما ، بل إنه تتبع الملوك فى مختلف البلدان الإسلامية من مصر إلى اليمن إلى الشام إلى بلاد التكرور ، وأحصى مَن حج من ملوكها فأرّخ لهم الواحد بعد الآخر .

ويتضح من النص أن من حج من ملوك اليمن ستة : أولهم على بن محمد الصليحى مؤسس الدولة الصليحية باليمن ؛ وثانيهم وثالثهم ملكان من ملوك الأيوبيين باليمن ، وهما : الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه ، أخو صلاح الدين ، وفاتح اليمن فى عهده ، وأول ملوك الأيوبيين باليمن ؛

(١) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ .

ثم الملك المسعود صلاح الدين يوسف المعروف — بأطسز أو أقسيس — ابن الملك الكامل محمد صاحب مصر .

ورابعهم وخامسهم وسادسهم ثلاثة من ملوك بنى رسول باليمن ، وهم : الملك المنصـور نور الدين عمر بن على بن رسول ، أول ملوك الرسوليين باليمن ؛ ثم ابنـه الذى أتى من بعده الملك المظفر شمس الدين يوسف ، ثم حفيد المظفر ، وهو الملك المجاهد على .

أما ملوك الشام فقد حج منهم ثلاثة : أولهم نور الدين محمود بن زنكى — أحد الأتابكة — وثانيهم الملك المعظم عيسى الأيوبى بن العادل أبى بكر — صاحب دمشق — وثالثهم الملك الناصر داود بن المعظم عيسى — صاحب الكرك — .

ومن العجيب أن أحداً من ملوك بنى أيوب فى مصر لم يحج ، ولعل السبب فى هذا انشغالهم جميعاً بالجهاد الأعظم ضد الصليبيين ، فإنى أعتقد أنه لو استطاع واحد منهم أن يفرغ لنفسه قليلا لكان أول شىء يقدم عليه هو الخروج للحج ، بدليل أن كبيرهم ومؤسس الدولة صـلاح الدين لم يكد يفرغ من حطين ومعاهدة الرملة حتى كان أول ما فكر فيه هو الاستعداد للحج لولا أن عاجلته المنية .

وكان أول من حج من ملوك مصر السـلطان المملوكى الظاهر بيبرس البندقدارى ، ثم حج بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون — وقد حج ثلاث

مرات — وكان آخر من حج وأرّخ له المقريزى هنا الملك الأشرف شعبان ابن حسين بن محمد بن قلاوون .

والطريف أن المقريزى لم ينس هنا طرفاً بعيداً من أطراف العالم الإسلامى ، وهو بلاد التكرور ، فأرّخ للملك منسا موسى ، الذى خرج للحج ، ومرّ فى طريقه بمصر فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأشار المقريزى فى مدخل حديثه عنه إلى أن اثنين آخرين من ملوك التكرور سبقا موسى بالحج هما : منسا ولىّ بن مارى بن جاطة الذى حج فى أيام الظاهر بيبرس ، وسا كبورة .

— ٦ —

والكتاب — على صغر حجمه — مفعم بالمعلومات القيمة الجديدة ، وقد جمعت فى صعيد واحد عن موضـوع واحد وهو « الحج » ، ففى الفصل الأول عن حجـة الرسول معلومات مركزة عن بعض شعائر الحج كالعُمرة ، والقِران — أى الجمع بين الحج والعُمرة — والإفراد ، والتمتع ، والهَـدْى ، إلخ .

● وقد فصّـل المؤلف بين هذا الفصل عن حجة الرسول والفصل الذى يليه عمن حج من الخلفاء بذكر لطيفة عن النداء بالحج وأنه سُـنّة للمسلمين . وأشار إلى أن الرسول عليـه السلام كان ينادى للحج أوّل ذى القعدة ، لأن مسافة الحج من المدينة عشرة أيام ، فقدم النداء بثلاثة

أمثالها . وقياساً على هذا كان النداء للحج فى مصر يقع فى شهر رجب لأن مسافة الحج فى البر من مصر أربعون يوما ، فقدم النداء بثلاثة أمثالها . ولهذا كان يحتفل بدوران المحمل فى مصر على عهد المماليك مرتين : الأولى فى شهر رجب بعد النصف منه عند النداء للحج ، والثانية فى نصف شوال . وكذلك كان يفعل فى الشام .

وأكد المقريزى فى نهاية هذه اللطيفة حقيقة هامة ، وهى أن أول من أدار المحمل بمصر هو السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى .

● والفصلان التاليان عمن حج من الخلفاء ومن حج من الملوك تتخللهما معلومات كثيرة طريفة عن الإصلاحات المتتالية التى قام بها الخلفاء والملوك فى مكة والمدينة ، وأول من قام بإصلاح عمر بن الخطاب ، فقد بنى المسجد الحرام ووسّع فيه ، واستأذنه أهل المياه فى أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة ، فأذن لهم ، وشرط عليهم أن ابن السبيل أحقّ بالظل والماء .

ولما هاجمت جيوش الشام عبد الله بن الزبير فى مكة فى عهد يزيد ابن معاوية ، حرقوا الكعبة ، فتركها ابن الزبير على حالها ليشنع بذلك على أهل الشام ، فلما مات يزيد هدمها إلى الأرض وبناها على قواعد إبراهيم ، وأدخل فيها الحِجْر ، وجعل لها بابين .

ولكن الحجّاج لم يلبث أن هزم ابن الزبير وقبض عليه وقتله ، وعند ذلك هدم بناء ابن الزبير فى سنة أربع وسبعين وأعاد بناءها .

ثم عنى الوليد بن عبد الملك بمسجد رسول الله فى المدينة عناية كبيرة وأمر بعمارته ، وأشرف على هذه العمارة واليه على المدينة عمر بن عبدالعزيز ، ورسم له الوليد أن يهدم بيوت أزواج النبي ويدخلها فى المسجد لتتسع مساحته ، ففعل .

وذكر المقريزى هنا أن الوليد بعث إلى ملك الروم يخبره برغبته هذه فأرسل إليه مائة ألف مثقال ذهباً ، ومائة عامل ، وأربعين حملاً من الفسيفساء ، فحمل الوليد ذلك كله إلى عمر بن عبد العزيز ليستعين به فى إعادة بناء المسجد .

وكتب الوليد كذلك إلى جميع البلاد بإصلاح الطرق وعمل الآبار بطريق الحجاز ، ومنع المجذومين من الخروج على الناس ، وأجرى لهم الأرزاق .

أما سليمان بن عبد الملك فقد كتب إلى خالد بن عبد الله القسرى واليه على مكة : « أن أجْرِ لى عيناً يخرج من مائها العذب الزلال حتى تخرج بين زمزم والمقام » ، فعمل خالد بركة بأصل ثَبير من حجارة ، ثم شق من البركة عيناً تخرج إلى المسجد الحرام[1] .

● ومن المعلومات الطريفة الجديدة أن طريق الحج من العراق إلى مكة كانت تبنى فيه للخلفاء فى كل منزلة ينزلونها دار ، ويُعَدّ لهم فيها

---

(١) انظر حديث المقريزى عن تاريخ هذه البركة والعين ووصفهما فيما يلى هنا ص ٣٢ — ٣٤ .

سائر ما يُحتاج إليه من الستور والفرش والأوانى وغير ذلك ؛ وأنهم كانوا يعينون موظفا خاصا للإشراف على هذه المنازل والدور ، يسمى « متولى المنازل »[1] .

وقد ذكر المؤلف فى ص ٤٥ أن الخليفة العباسى المهـدى أمر ببناء القصور بطريق مكة أوسع من القصور التى بناها السفاح ، وأنه أمر باتخاذ المصانع — لخزن الماء — فى كل منها ، وتجديد الأميال — أى علامات الطريق — ، وحفر الركايا — أى الآبار — .

ومما يستدعى الالتفات — لطرافته — أن المهدى كان أول خليفـة حُمل إليه الثلج إلى مكة . وأنه أمر لأول مرة ، وفى سـنة ست وستين بإقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن – بغالا وإبلاً — ولم يكن — كما يقول المقريزى – هناك بريد قبل ذلك .

ويفهم من النص هنا أن المدينة النبوية كان يحيط بها سور ، وإن لم يذكر المقريزى متى بنى ، ولـكن ذكر أن نور الدين محمود بن زنكى أكمل سور المدينة واستخرج لها العين ، فدُعى له بالحرمين على منبريهما .

● والمعـروف أن نور الدين أقام دولته على أساس من النظام الإقطاعى ، وفى الأقوال التى نقلها عنـه المؤرخون من أمثال أبى شامة وابن واصل شواهد هامة ومفيدة لدارس النظام الإقطاعى فى عهد نور الدين

---

(١) انظر ما يلى ، ص ٣٨ — ٣٩ .

وفى عهود من أتى بعده من حكام مصر والشام ؛ وفيما ذكره المقريزى هنا فى الذهب المسبوك تتمة لها أهميتها ودلالتها على تعميم هذا النظام الإقطاعى فى الحجاز أيضاً على عهد نور الدين ، فقد ورد فى ص ٦٩ أن نور الدين « بعث العساكر لحفظ المدينة النبوية وأقطع أمير مكة إقطاعا ، وأقطع أمراء العربان إقطاعات لحفظ الحاج فيما بين دمشق والحجاز » .

● وبين ثنايا الكتاب تنتثر معلومات قيمة عن كسوة الكعبة ، فالمقريزى يذكر أن الكسوة كانت تعمل من الديباج المذهب ويقول : « وكانت الكسوة لا تُنزع من الكعبة فى كل سنة كما هو العمل الآن — أى فى أيامه — بل تلبس كل سنة كسوة فوق تلك الكسوة ، فلما تكاثر العهد وكثر ذلك خافت السدنة على الأركان أن تنهدم لثقل ما عليها من الكسوة » ، حدث هذا فى عهد الخليفة العباسى المهدى ، فنزع الكسوات القديمة وألبسها كسوته .

ومن المعروف أن كسوة الكعبة منذ عهد عمر بن الخطاب كانت تصنع فى دور الطراز فى تنيس وشطا وتونة ودمياط ، وقد أضفنا فى ص ٤٣ حاشية طويلة لخصنا فيها تاريخ الكسوة وأشرنا إلى دور الطراز المصرية التى كانت تصنع فيها ، غير أن المقريزى يشير إلى أن الكسوة صنعت فى عهد الناصر محمد بن قلاوون فى دار الطراز بالاسكندرية ، وهذا أمر طبيعى فإن صناعة النسيج فى دمياط وما حولها تدهورت فى عهد المماليك ، ولكنه ازدهرت فى مدينة الاسكندرية .

• ويضيف هذا الكتاب جديداً إلى معلوماتنا حين يذكر أن عليا الصليحى كان أول من كسا الكعبة من ملوك اليمن ، فقد حج فى سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، وكسا الكعبة الديباج الأبيض — وهو كان شعار الدولة الفاطمية — وأقام بها دعوتهم .

• وهذا يقودنا إلى موضوع هام نلمس آثاره مختفية فى النص بين السطور ، وذلك هو النزاع الخفى الدائم بين ملوك اليمن الرسوليين و بين ملوك الأيوبيين أولا وسلاطين المماليك ثانيا فى مصر حول السيطرة على الأراضى المقدسة ، ومظهر ذلك رغبتهم فى أن يخطب لهم على منابر مكة ، وسعيهم أن يكسوا هم الكعبة .

حاول هذه المحاولة أول ملوك الرسوليين فى اليمن نور الدين عمر بن على ، فقد حج سنة ٦٣٩ هـ ، وأبطل المكوس والجبايات من مكة وكتب ذلك تجاه الحجر الأسود ؛ واتفق فى سنة ٦٤٣ ، أن هاجت ريح شديدة مزقت كسوة الكعبة وألقتها ، و بقيت الكعبة عارية ، وانتهز نور الدين عمر فرصة انشغال الملك الصالح نجم الدين أيوب بمشاكل العرش والصليبيين فى مصر والشام ، وأراد أن يكسو الكعبة ، يقول المقريزى : « فامتنع من ذلك شيخُ الحرم عفيف الدين منصور بن منعة البغدادى ، وقال : لا يكون ذلك إلا من الديوان — يعنى الخليفة — وكساها ثيابا من قطن مصبوغة بالسواد ، وركب عليها الطرز القديمة » .

وفى سنة ٦٥٦ هـ قضى المغول على الخلافة العباسية فى بغداد ، وانقطع الحاج من العراق نحو عشر سنوات ، وقبـل ذلك بسنوات كانت الدولة الأيوبية قد زالت من مصر ، وكانت دولة المماليك تعمل جاهدة لتثبيت ملكها وانتهز هذه الفرصة الملك المظفر يوسف بن نور الدين على ، وحج فى سنة ٦٥٩ وغسل الكعبة بنفسه وطيّبها ، وكساها من داخلها وخارجها ، وكان بذلك أول من كسى الكعبة بعد قتل الخليفة المستعصم ، ووُضع بذلك تقليد هام ، فخطب للملك المظفر بمكة . واستمر — كما يقول المقريزى هنا — « يخطب بعده لملوك اليمن على منابر مكة إلى يومنا هذا بعد الخطبة لسلطان مصر » .

ولكن يبدو أن المماليك — بعد أن استقر لهم الأمر — تولوا هم كسوة الكعبة ، فقد أشرنا من قبل إلى أن الظاهر بيبرس كان أول من أدار المحمل فى مصر ، والمحمل أعد لحمل الكسوة . وذكر المقريزى فى ص ٩١ — ٩٢ أن بيبرس حج فى سنة ٦٦٧ ، « وعلّق كسوة الكعبة بيده » ، وكتب وهو بمكة إلى صاحب اليمن ينكر عليه أموراً ، ويقول : « الملك هو الذى يجاهد فى الله حق جهاده ، ويبذل نفسه فى الذب عن حوزة الدين ، فإن كنت ملكا فاخرج والق التتر » . وقد أشار المقريزى فى ص ١١٤ إلى أن المجاهد على الرسولى حج فى سنة ٧٤٢ هـ « وعزم على كسوة الكعبة ، فلم يمكنه من ذلك أمير مكة ، فسار وهو على حنق » .

وأراد المجاهد أن يعيد الكرة فحج ثانية فى سنة ٧٥٢ هـ ، وأراد أن

يدخل مكة تحيط به كوكبة من جيشه . فمنعه أمراء المماليك المصريون المصاحبون لقافلة الحاج المصرى ، وقامت بين الجيشين مناورات انتهت بالقبض على الملك المجاهد وحمله أسيراً إلى مصر ، و بقى فى الأسر مدة إلى أن أطلق سراحه وأعيد إلى اليمن .

● ومن الحقائق الهامة التى أشار إليها المقريزى هنا ، أنه لم يحج من خلفاء العباسيين فى بغداد أحد بعد هارون الرشيد ، وأنه لم يخطب لأحد من خلفاء العباسيين بالقاهرة على منابر مكة ، سوى المستعين بالله — ولأيام قليلة — وهى الأيام التى ولى فيها السلطنة والخلافة معا . وهذه الظاهرة تدل دلالة واضحة على ضعف مكانة هؤلاء الخلفاء ، وأنه لم يكن لأحد منهم شىء من السلطة الحقيقية أو الاسمية ، بل إن الخليفة الوحيد الذى حج منهم وهو الحاكم بأمر الله العباسى ، طلب — عند وصوله إلى مكة — من شريفها أبى نمى أن يدعو له على منبرها ، « فامتنع من ذلك ، وجرت بينهما مفاوضة ترفع فيها عليه أبو نمى تفاخراً بنسبه الشريف »[1] .

● والباحث فى الحياة الاجتماعية على عصر المماليك يجد فى هذا الكتاب نصوصا كثيرة هامة ، لعل أطرفها وصف المواكب التى كانت تصحب سلاطين المماليك عند خروجهم للحج ، والاستعدادات الضخمة التى

---

(١) انظر : ص ٦١ — ٦٢ وما بهما من حواش .

كانت تتخذ لإمداد القافلة بكل ما يحتاج إليه السلطان وصحبه من مأكول ومشروب ومشموم وملبوس ، يتضح هذا فى قول المقريزى عن حجة بيبرس : « بحيث أنه جهَّز البشماط والدقيق والروايا والقرب والأشربة » ، أما وصفه لموكب الناصر محمد فهو أطرف وأكثر تفصيلا ، ففيه يقول : « فعمل (كريم الدين الكبير ناظر الخاص) عدة قدور من فضة ونحاس تُحمل على البخاتى ليطبخ فيها وأحضر الخولة لعمل مباقل وخضروات ورياحين ومشمومات فى أحواض خشب لتحمل على الجمال وتسقى طول الطريق ، ويؤخذ منها كل يوم ما يحتاج إليه ، ورتب الأفران وقلائى الجبن وصنّاع الكماج والسميذ وغير ذلك مما يحتاج إليه ... إلخ ... »[1] .

● والكتاب أخيراً به معلومات كثيرة دقيقة ومفيدة عن علاقة مصر فى العصور الوسطى بجيرانها فى آسيا وأفريقيا ، كالحجاز واليمن والشام وبلاد التكرور[2] .

— ٧ —

بقيت نقطتان هامتان أخيرتان تحتاجان إلى مناقشة وإيضاح ، وهما : لمن ألف المقريزى هذا الكتاب ، وفى أى سنة ألفه ؟

أما عن النقطة الأولى فإن المؤلف يذكر فى مقدمته أن صديقاً له من

---

(١) انظر : ص ٩٠ ، ١٠١ — ١٠٢ .

(٢) انظر مثلا : ص ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١١٢ ، ١١٣ .

رجال الحكم اعتزم الحج ، وأنه ألف هذا الكتاب وأهداه إليه بهذه المناسبة ، غير أنه لم يصرح باسم هذا الصديق ، و إنما نعته « بالمقر المخدوم »

وقد درسنا هذا اللقب فى ص ٢ ، هامش ٥ ، وانتهينا إلى أنه أهدى الكتاب لكبير من أرباب السيوف ، لأنهم هم الذين كانوا يلقبون بهذا اللقب .

أما عن النقطة الثانية ، فقد كنت انتهيت أول الأمر إلى أن الكتاب ألف قطعاً بعد سنة ٨١٥ هـ ، فهى آخر سنة أشار إليها المقريزى فى المتن[١] ، ثم رجحت أنه ألفه فى المدة بين ٨٣٠ و ٨٤٠ لأنه أشار فى كتابه هذا إلى عدد كبير من كتبه الأخرى ، ومن المعروف أنه انتهى من تأليف هذه الكتب فى هذه المدة ، ولكن نسخة الاسكوريال قطعت كل شك فقد نص فى نهايتها على أن المقريزى ألف هذا الكتاب فى ذى القعدة سنة ٨٤١ هـ . قال الناسخ فى حرْد الكتاب :

« كتب من أصل بخط مصنفه ، قال مؤلفه — رحمه الله — : حررته جهد القدرة فصح . مؤلفه أحمد بن على المقريزى ، فى ذى القعدة سنة ٨٤١ »[٢] .

فالمقريزى إذن ألف هذا الكتاب فى ذى القعدة سنة ٨٤١ لأمير مملوكى من كبار أمراء السيف حج فى هذه السنة ، أما اسم هذا الأمير فقد

---

(١) ص ٦٢ .

(٢) ص ١٢١ ، هامش ٢ .

نوفق إلى معرفته فى المستقبل بعد مراجعة الحوليات التاريخية التى أرّخت لهذه السنة ولم تطبع بعد .

وإنى لأرى — قبل أن أختتم هذه التقدمة — أن أقدم شكرى القلبى الخالص لصديقى المؤرخ الدكتور حسن حبشى المدرس بجامعة عين شمس ، فقد تفضل بمراجعة تجارب الطبع لفهارس الكتاب .

و بعد ، فهذا هو الكتاب ، وهذه هى محتوياته ، وهذا هو منهجنا فى نشره ، نرجو أن نكون قد وفقنا فى دراسته وتحليله ونشره .

والله ولى التوفيق .

القاهرة { ١٨ ذو الحجة ١٣٧٤ / ٧ أغسطس ١٩٥٥ }

جمال الدين الشيال

مراجع التحقيق

(ا) المراجع العربية

١ — ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم) .

طبقات الأطباء ، جزءان ، المطبعة الوهبية بالقاهرة ، ١٢٩٩ (١٨٨٢) .

٢ — ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على)

الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزءا ، المطبعة الأزهرية بالقاهرة ، ١٣٠١ ﻫ .

٣ — اللباب فى تهذيب الأنساب ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٥٧ — ١٣٦٩ ﻫ .

٤ — ابن الأثير (أبو السعادات المبارك بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم)

النهاية فى غريب الحديث والأثر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٣١١ .

٥ — الأزرقى (أبو الوليد محمد عبد الله بن أحمد)

أخبار مكة ، جزءان ، المطبعة الماجدية بمكة ، ١٣٥٢ — ١٣٥٧ ﻫ .

٦ — بامخرمة (أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد)

تاريخ ثغر عدن ، مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندى والأهدل ، نشره Oscar Löfgren ، جزءان ، ليبزج ، ١٩٣٦ .

٧ — البستانى

محيط المحيط ، جزءان ، بيروت ، ١٧٨٦٧ — ١٨٧٠ .

٨ — ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد العزيز ، الأندلسى)

كتاب الصلة ، مدريد ، ١٨٨٣ .

٩ — البكرى (أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز ، الأندلسى)

معجم ما استعجم ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٥ — ١٩٤٩

١٠ — ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ظهر منه ١١ جزءا ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٩ — ١٩٥٠ .

١١ — ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد)
الرحلة ، الطبعة الثانية ، ليدن ، ١٩٠٧ .
١٢ — ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على)
تاريخ عمر بن الخطاب ، مطبعة محمد على صبيح بالأزهر ، القاهرة (بدون تاريخ) .
١٣ — المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الأجزاء ٥ — ١٠ ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٥٧ — ١٣٥٨ .
١٤ — حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله ، المشهور بكاتب چلبى)
كشف الظنون ، ٤ أجزاء ، استانبول ، ١٩٤١ — ١٩٤٥ .
١٥ — ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ، العسقلانى)
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٤٨ — ١٣٥٠ .
١٦ — الحنبلى (أحمد بن إبراهيم بن نصر الله)
شفاء القلوب فى مناقب بن أيوب ، مخطوطة المتحف البريطانى رقم ٧٣١١ ، ومنه صور شمسية بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٣٠ .
١٧ — الخزرجى (على بن الحسن)
العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، ليدن ، ١٩٠٦ — ١٩١٨ .
١٨ — ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٦ أجزاء ، طبعة محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
١٩ — ابن دريد :
الجمهرة ، ٤ مجلدات ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٤٤ — ١٣٥١ .
٢٠ — الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)
تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام ، ظهر منه ٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٦٧ ، — ١٣٦٩ .
٢١ — ميزان الاعتدال من نقد الرجال ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٥ .
٢٢ — زامباور :
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، الترجمة العربية

للدكتور زكى محمد حسن ، وحسن أحمد محمود وآخرين ، جزءان ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٥١ — ١٩٥٢ .

٢٣ — الزركلى (خير الدين)
الأعلام ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٣٤٧ (١٩٢٨) .

٢٤ — زيادة (محمد مصطفى)
بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك فى مصر ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، ج ١ ، سنة ١٩٣٨ .

٢٥ — زيدان (جورجى)
تاريخ التمدن الإسلامى ، ٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٠٢ — ١٩٠٦ .

٢٦ — ابن الساعى (أبو طالب على بن أنجب تاج الدين)
الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير ، الجزء التاسع ، نشره الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ، ١٩٣٤ .

٢٧ — سبط بن الجوزى
مرآة الزمان ، الجزء الثامن (فى مجلدين) ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٧٠ (١٩٥١) .

٢٨ — سركيس (يوسف اليان)
معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، ١٣٤٦ (١٩٢٨) .

٢٩ — السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)
التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، القاهرة ، ١٨٩٦ .

٣٠ — الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٣٥٣ — ١٣٥٤ .

٣١ — ابن سعد
الطبقات الكبيرة ، ٨ أجزاء ، ليدن ، ١٩٠٥ — ١٩٢١ .

٣٢ — سعداوى (نظير حسان)
نظام البريد فى الدولة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

٣٣ — سليم (محمود رزق)
عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٧ — ١٩٥٢ .

٣٤ — السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) :
تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، القاهرة ، ١٣٥١ .

٣٥ — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٢٧ .

٣٦ — أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى)
كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، جزءان ، القاهرة ، ١٢٨٧ — ١٢٨٨ .

٣٧ — الذيل على الروضتين ، نشره عزت العطار بعنوان : « تراجم أعيان القرنين السادس والسابع » ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٣٨ — ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهرى)
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق المسالك ، باريس ، ١٨٩٤ .

٣٩ — الشيال (جمال الدين)
العلاقات بين مصر واليمن فى العصر الفاطمى ، مجلة الكتاب ، إبريل ١٩٤٨ ، ص ٥٥٠ — ٥٦١ .

٤٠ — مجمل تاريخ دمياط ، مطبعة مدرسة دون بوسكو ، الاسكندرية ، ١٩٤٩ .

٤١ — الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) :
تاريخ الأمم والملوك ، ١١ جزءا ، القاهرة ، ١٣٢٦ .

٤٢ — ابن عبد الحكم :
فتوح مصر والمغرب والأندلس ، طبعة هنرى ماسيه ، القاهرة ، ١٩١٤ .

٤٣ — ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى)
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٣٥٠ — ١٣٥٣ .

٤٤ — عمارة اليمنى :
تاريخ اليمن ، نشره كاى Kay ، لندن ، ١٣٠٩ (انظر المراجع غير العربية) .

٤٥ — ابن فرحون :
الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب ، القاهرة ، ١٣٥١ .

٤٦ —
فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية ، الجزء الثامن .

٤٧ — ابن الفوطى (أبو الفضل عبد الرزاق البغدادى) :
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، نشره الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ، ١٣٥١ .

٤٨ — ابن القفطى (جمال الدين أبو الحسن على)
أخبار الحكماء فى أخبار الحكماء ، القاهرة ، ١٣٢٦ .

٤٩ — القلقشندى (أبو العباس أحمد)
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ جزءا ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩١٣ — ١٩١٩ .

٥٠ — ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر)
البداية والنهاية ، ١٤ جزءا ، القاهرة ، ١٣٥٨ .

٥١ — كرد على (محمد)
خطط الشام ، ٦ أجزاء ، ١٩٢٥ — ١٩٢٨ .

٥٢ — الكرملى (الأب أنستاس مارى)
النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

٥٣ — مبارك (على باشا)
الخطط التوفيقية الجديدة ، ٢٠ جزءا ، القاهرة ، ١٣٠٤ — ١٣٠٦ .

٥٤ — المرزبانى (أبو عبيد الله محمد بن عمران)
معجم الشعراء ، القاهرة ، ١٣٥٤ .

٥٥ — مرزوق (محمد عبد العزيز)
الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ، القاهرة ، ١٩٤٢ .

٥٦ — المقريزى (تقى الدين أحمد بن على)
اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، نشره الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٥٧ — إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشره الدكتوران محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٠ .

٥٨ — السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة ، ٥ مجلدات ، القاهرة ، ١٩٣٤ — ١٩٤٢ .

٥٩ — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٤ أجزاء ، مطبعة النيل ، القاهرة ، ١٣٢٤ — ١٣٢٦ .

٦٠ — نحل عبر النحل ، نشره الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة : ١٩٤٦ .
٦١ — ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصرى)
لسان العرب ، ٢٠ جزءا ، بولاق ، ١٣٠٢ — ١٣٠٧ .
٦٢ — ابن النجار
أخبار مدينة الرسول ، نشره صالح محمد جمال ، مكة ، ١٣٦٦ .
٦٣ — ابن النديم
كتاب الفهرست ، المطبعة الرحمانية بالقاهرة (طبعة المكتبة التجارية ، بدون تاريخ) .
٦٤ — أبو نعيم (الحافظ أحمد بن عبد الله الأصفهانى)
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣٢ — ١٩٣٨ .
٦٥ — النعيمى
الدارس فى تاريخ المدارس ، جزءان ، نشر جعفر الحسنى ، دمشق ، ١٩٤٨ — ١٩٥١ .
٦٦ — هارون (عبد السلام)
الميسر والأزلام ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
٦٧ — ابن هشام (أبو محمد عبد الملك)
سيرة النبي عليه السلام ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٤٦ .
٦٨ — هيكل (الدكتور محمد حسين)
الفاروق عمر بن الخطاب ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٦٤ .
٦٩ — ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)
مفرج الكروب فى تاريخ بنى أيوب ، الجزء الأول ، نشره الدكتور جمال الدين الشيال ، مطبوعات إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم القاهرة ، ١٩٥٣ .
نسخة باريس ، رقم ١٧٠٢ .
نسخة استانبول ، مكتبة ملا جلبى ، رقم ١١٩ .
٧٠ — ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى)
معجم البلدان ، ليبزج ، ١٨٧٠ .
٧١ — معجم الأدباء ، طبعة فريد رفاعى ، ٢٠ جزءا ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

(ب) المراجع غير العربية

72. Ayalon (David).

= Studies on the Structure of the Mamluk Army. in (B. S. O. S. vol. XVI, Part I. 1953. PP. 203 — 228)

73. Casanova.

= Les Derniers Fatimides (Mémoires de la Mission Archéologique Française du Caire, tome VI, 1893 PP. 415 —445).

74. Dozy (R. Q. A.)

= Supplément aux Dictionnaires Arabes. Brill, Leiden, 1881.

75. Jomier (Jacques).

Le Mahmal et la Caravane Egyptienne des Pélerins de la Mecque (XIII—XX siècles), Le Caire, 1953.

76. Kay (H. Cassels).

= Yaman, Its Early Mediaeval History. London 1892.

(انظر المراجع العربية)

77. Lane — Poole (St).

= Mohommadan Dynasties. Westminster, 1894.

78. Runciman (Steven).

= A History of the Crusades. 3 volumes. Cambridge University Press. 1951 — 1954.

المقريزى

الذهب المسبوك

فى ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك

(٦٤ ب) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله[١]، وبه المستعان، على كل[٢] ما عزّ وهان، وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه[٣] والتابعين، صلاة باقية إلى يوم الدين.

وبعد، فأسأل الله مبتهلاً إليه، مادًّا يدى له، أن يُتبِع أيام المقرّ[٤] المخدوم بأخواتها الباقيات الصالحات، والزيادات [الغامرات[٥]]، ليكون كل دهر يستقبله، وأمل يستأنفه، موفياً على المتقدم له، قاصراً عن المتأخر عنه؛ ويُؤتيه من العمر أطولَه وأبعدَه، ومن العيش أعذبَه وأرغدَه، عزيزاً منصوراً، محميًّا موفوراً، باسطا يده فلا يقبضها إلا على نواصى أعداء وحُسّاد، سامياً طرفه فلا يغضه[٦] إلا على لذة غمض ورقاد، مستريحةً ركابُه فلا يعملها إلا لاستضافة[٧] عزّ ومُلك، حائزةً قداحُه

---

(١) فى الأصل: « وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، الحمد لله ... » وقد حذفناها لأن الصلاة على النبي كررت بعد ذلك مباشرة والراجح أن الصلاة الأولى من وضع الناسخ، لأنها لم ترد فى (ب) أو (ل).

(٢) هذا اللفظ موجود فى (ل) فقط.

(٣) (ل): « وأصحابه ».

(٤) انظر ما يلى، ص ٢.

(٥) فى الأصل: « الفاطرات »، وما هنا عن (ب) و (ل).

(٦) هذا اللفظ ساقط من (ب).

(٧) فى (ب): « لاستضافة ».

فلا يجيلها[١] إلا لحيازة مال حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيةٌ جامحة ، وتسمو إليه همةٌ طامحة .

وقد استفاض أن العزمَ الشريفَ قد قوى على الحج ، والتحلّى بالعَجِّ والثَجِّ[٢] ، وجرت العادة ، بألطاف[٣] العبيد للسادة ؛ فتأملتُ حال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا فى مثل هذه الحركة ، فأردتُ التأسى بهم ، ورأيتُنى إن أهديتُ نفسى فهى[٤] فى ملك المَقَرِّ المخدوم[٥] ، وإن أهديتُ

---

(١) انظر : (عبد السلام هارون : الميسر والأزلام ، ص ٣١ وما بعدها) .

(٢) فى الأصل وفى (ب) : « البج » ، وفى الحديث : « أفضل الحجِّ العَجُّ والثجُّ » ، وجاء فى (اللسان) : العَج رفع الصوت بالتلبية ، والثَج صب الدم وسيلان دماء الهَدْى يعنى الذبح ؛ انظر أيضاً : (ابن الأثير : النهاية ، مادة ثجّ) .

(٣) (ب) : « لا لطاف » .

(٤) (ب) : « وهى » .

(٥) لم يصرح المؤلف فى هذه المقدمة باسم من ألف له هذا الكتاب أو بوظيفته ، ولكنه ذكره بلقبه فقال إنه « المقر المخدوم » ، وإذ كان للألقاب فى الدولة المملوكية نظام دقيق ، فقد حاولنا عن طريقه التعرف على شخصية هذا المقر المخدوم ؛ وقد ذكر صاحب (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٩٤) أن « المقر » لقب من الألقاب المملوكية ، وكان يلقب به كبار الأمراء وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن يجرى مجراهم ، أى أن من كان يلقب به هم كبار رجال الدولة من أرباب السيف ومن أرباب القلم ، ولكنه عاد فأشار فى (ج ٦ ، ص ١٣٠) إلى عدد الألقاب التى كان يلقب بها أرباب السيوف من أهل المملكة وغيرهم من الأمراء والعربان والأكراد والتركمان ، وذكر أنها خمس درجات : الدرجة الأولى منها هى « المقر الشريف » ، ثم ذكر الصفات الأخرى التى تذكر بعد « لقب المقر » إذا أطلق على واحد من رجال السيف ، ومن بين هذه الصفات : « المخدومى » ، أما إذا أطلق هذا اللقب وهو « المقر » على =

مالى فهو منه ، وإن أهديتُ مودّتى وشكرى فهما خالصين له غير مشتركين ، وكرهت أن أخلى هذا العزم من سنته فأكون من المقصّرين ، أو أدّعى فى ملكى ما يفى بحق المقرّ المخدوم(١) فأكون من الكاذبين ؛ [قلت(٢)] :

إنْ أُهْدِ نَفْسِى فَهْوَ مالِكها ... ولَهَا أصُونُ كَرائِمَ الذُّخْرِ

أو أُهْدِ مالاً فَهْوَ وَاهِبُهُ ... وأنا الحَقِيقُ عليْهِ بالشُّكْرِ

أو أُهْدِ شُكْرِى فهْوَ مُرْتَهَنٌ ... بجَمِيلِ فِعلِكَ آخِرَ الدَّهْرِ

والشَّمْسُ تَسْتَغْنِى إذا طَلَعَتْ ... أنْ تَسْتَضِىءَ بطَلْعَةِ البَدْرِ(٣)

= واحد من كبار الموظفين من أرباب الأقلام فإن الصفة التى تلحقه هى « الشريف » فيقال « المقر الشريف » ، ولا يقال له أبدا « المقر المخدوم » ؛ وذكر القلقشندى أيضا أن لقب « المقر » أصبح يطلق فيما بعد على السلطان ، وأنه رآه استعمل هذا الاستعمال فى العهد المكتتب بالسلطنة للمنصور قلاوون ، وهذا العهد من إنشاء القاضى محي الدين بن عبد الظاهر ، ولكن الصفات التى تلحق باللقب فى هذا الاستعمال تختلف عن الصفات السابقة ، فيقال « المقر الأشرف » و « المقر الشريف العالى » و « المقر العالى » و « المقر الكريم العالى » . انظر أيضا : (ج ٦ ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ٢٩٨) . من هذا كله يتضح أن الكتاب لم يؤلف لواحد من السلاطين ولا لواحد من من كبار الموظفين من أرباب الأقلام ، ولكنه ألف لكبير من أرباب السيوف ، انظر مقدمتنا لهذا الكتاب .

(١) انظر الهامش السابق .

(٢) ما بين الحاصرتين موجود فى (ل) فقط ؛

(٣) ذكر (السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٢٤) ؛ . و (التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، ص ٢٤) نقلا عن شيخه وأستاذه ابن حجر أن تقى الدين المقريزى كان « له النظم الفائق والنثر الرائق » . وهذه الأبيات هى من الشعر القليل =

ولما كان العلمُ أنفسَ الذخائر وأعلاها قدراً ، وأعظم المآثر وأبقاها ذكراً ، جمعت برسم الخزانة الشريفة المخدومية[1] — عمَّرها الله ببقاء مالكها — جزءاً يحتوى على ذكر من حَجَّ من الخلفاء والملوك ، وسميتُه : « الذهب المسبوك (١٦٥) فى[2] ذكر من حَجَّ من الخلفاء والملوك[2] » ،

تذكرة للخاطر الشريف بما هو منّى أدرى ، وأحق بإفادته وأحرى ، وأنى — فيما فعلتُ وصنعتُ — كمن أهدى القَطْرَ إلى البَحْر ، أو بعث النور إلى القمر ، والأرج إلى الزهر ، بل كالذى أرسل الضياء إلى الشمس ، وروح الحياة إلى النفس ؛ غير أن فى كريم[3] أخلاقه الزكية ، وزاكى أعراقه المرضية ، ما يقبل اليسير ، ويتجاوز عن الخطأ والتقصير . رعى الله المخدوم من حيث لا يرتقب ، وحرسه من حيث لا يحتسب ، وكان له فى سفره خفيراً[4] ، وفى حضره عوناً ونصيراً[5]

= الذى بنى للمقريزى ، وأطول قصيدة رأيتها له هى التى قالها فى وصف دمياط ومدحها ، انظرها فى (المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٦٢) ؛ وانظر أيضا كتابنا : (مجمل تاريخ دمياط ، ص ٤٨ — ٢٤٩) .

(١) انظر هامش ٥ ص ٢ .

(٢) ما بين الرقمين غير موجود فى (ل) .

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٤) (ب) : « سفيرا » .

(٥) (ب) و (ل) : « وظهيرا » .

فصل

فى حجة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

افتتحت بها هذا الجزء إذ كان — صلى الله عليه وسلم — هو الذى بيَّن للناس معالم دينهم ، وقال : « خُذوا عنّى مناسككم » ؛ وقد امتلأتْ كتب الحديث بذكر حجة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأفرد فيها [الفقيه[1]] الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى[2] مصنفاً جليلاً[3] ، قد اعترض عليه فى مواضع منه ، أجبتُ عنها فى كتاب « شارع النجاة[4] » .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ب ، ص ١٠٢ ا) و (ل ، ص ٢٤ ب) .

(٢) أنظر ترجمته فى : (القفطى ، أخبار الحكماء ، ص ١٥٦) و (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ا ٢١) و (المقرى : نفح الطيب ، ج ا ، ص ٢٦٤) و (سركيس : معجم المطبوعات العربية) .

(٣) يفهم من النص هنا أن لابن حزم مصنفاً خاصاً عن حجة الرسول عليه السلام ، ولكننى لم أوفق فى العثور على هذا المصنف وإنما ذكر صاحب كشف الظنون أن لابن حزم كتابا عنوانه « الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية » فلعله هذا الذى يقصده المقريزى هنا ، ويبدو أن المقريزى كان من المعجبين بابن حزم ومؤلفاته ، فهو يرجع إليها كثيراً هنا وفى كتبه الأخرى ، ويؤكد هذا الظن ما ذكره السخاوى عند ترجمته للمقريزى فى (الضوء ، ج ٢ ، ص ٢٢ ، والتبر المسبوك ، ص ٢٢) ، فهو يقول نقلا عن أستاذه ابن حجر : « قال شيخنا : إنه (أى المقريزى) أحب الحديث فواظب على ذلك حتى كان يتهم بمذهب ابن حزم ، ولكنه كان لا يعرفه » .

(٤) ذكر السخاوى (المرجعين السابقين ، ص ٢٣) هذا الكتاب ضمن =

وملخص حجة الوداع أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما دخل ذو القعدة تجهَّز للحج ، وأمر الناس بالجهـاز له ، وأذَّن فيهم ، فاجتمعوا ، ثم صلى الظهر — يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة عشر من الهجرة بالمدينة — أربعاً ، وخرج منها بمن معه من المسلمين من أهل المدينة ومن تجمَّع من الأعراب ، وهم عشرة آلاف ، بعد ما استعمل على المدينـة ، أبا دُجانة الساعدى ، ويقال : سـباع ابن عُرْفُطَة الغِفارى ، فصلى العصر — بذى الْحُلَيْفة[1] — ركعتَين ، وبات بها .

وأتاه آتٍ من ربه تعالى[2] فى ذلك الموضع[3] — وهو وادى العقيق — وأمره — عن ربه عز وجل[4] — أن يقول فى حجته : « هذه حَجَّةٌ[5] فى عُمْرةٌ » ، ومعنى هذا أن الله — سبحانه — أمره أن يَقْرِنَ[6] الحجَّ

= مؤلفات المقريزى ، وقال للتعريف به وبموضوعه : « ويشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول دياناتهم وفروعها مع بيان أدلتها وتوجيه الحق منها » ، أى أنه كان كتاباً هاماً من كتب الملل والنحل ، وهو — للأسف الشديد — من كتب المقريزى المفقودة ، فإنى رجعت إلى جميع معاجم المراجع فلم أجد بها ما يشير إلى وجود نسخة منه .

(١) ذو الحليفة قرية أو ماء بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، وقال (البكرى : معجم ما استعجم) إنه كان منزل رسول الله إذا خرج من المدينة لحج أو عمرة ، فكان ينزل تحت شجرة فى موضع المسجد الذى بذى الحليفة اليوم .

(٢) (ب) و (ل) : « عز وجل » .

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٤) (ب) و (ل) : « تعالى » .

(٥) الأصل : « حجة وعمرة » وما هنا عن (ب) و (ل) .

(٦) قَـرَنَ بين الحج والعُـمْـرة — يَقرِن قِراناً — أى جمع بينهما بنيـةٍ =

مع العُمْرة ، فأصبح — صلى الله عليه وسلم — فأخبر الناس بذلك ؛ وطاف على نسائه يومئذ بغُسْل واحد — وهن تسع وقيل إحدى عشرة[1] — ، ثم اغتسل ، وصلى عند المسجد ركعتين ، وأَهَلَّ بحَجَّة وعُمْرة معاً .

هذا[2] الذى رواه بلفظه ومعناه عنه — صلى الله (٦٥ ب) عليه وسلم — ستةُ عشر صحابيا ، منهم : خادمُه أَنَسُ بن مالك — رضى الله عنه — وقد رواه عنه — صلى الله عليه وسلم — ستةُ عشر تابعيا ، وقد ذكرتهم فى كتاب « شارع النجاة »[3] ، وهذا صريحٌ لا يحتملُ التأويلَ

= واحدة وتلبية واحدة وإحرام واحد ، وطواف واحد ، وسَعْى واحد ، فيقول : لَبَّيْك بحجة وعمرة ، وهو عند أبى حنيفة أفضل من الإفراد والتمتع . انظر : (ابن الأثير : النهاية ، مادة قرن) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٢٨ أو ما بعدها) .

(١) فى الأصل : : « بإحدى عشر » ، (ب) : « أحد عشر » ، وقد اختلفت الروايات عند ذكر عدد أزواج النبى ، والذين يقولون بأنهن تسع يقصدون زوجاته الأصيلات اللاتى دخل بهن ! والذين يقولون بأنهن إحدى عشرة يضيفون جاريتيه : مارية وريحانة ، أو زوجتيه اللتين لم يدخل بها وهما : عمرة بنت يزيد الغفارية والشنباء والذى لاخلاف فيه أنه عليه السلام توفى عن تسع زوجات ، انظر تفصيل الحديث عن زوجات النبى عليه السلام فى : (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٢٩١ — ٣٠٦) . و (سيرة ابن هشام ، نشر السقا والأبيارى وشلبى ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ وما بعدها) .

(٢) (ب) : « هو » .

(٣) انظر ما فات هنا ص ٥ ، هامش ٤ ؛ وهذه هى ثانى مرة يشير فيها المؤلف هنا إلى كتابه « شارع النجاة » .

إلا أن يكون بعيداً ، وما عدا ذلك مما جاء من الأحاديث الموهمة التمتّع[١] ، أو ما يدل على الإفراد[٢] فليس هذا محل ذكرها .

والقِرانُ فى الحج هو مذهب إمامنا أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى — رحمه الله تعالى — وقد نصره جماعة من محققى أصحابه ، وهو الذى يحصل به الجمع بين الأحاديث كلها ، [ومن العلماء من أوجبه[٣]] وممن قال بأفضليته الإمامُ أبو حنيفةَ النعمانُ بن ثابت — رحمه الله تعالى — وهو رواية عن الإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى — رحمه الله تعالى — .

وساق — صلى الله عليه وسلم — الهَدْىَ[٤] من ذى الحُلَيْفة ، وأمر من كان معه أن[٥] يُهِلَّ كما أهلَّ — صلى الله عليه وسلم — وسار

---

(١) التمتع بالحج له شرائط معروفة فى الفقه ، وهو أن يكون قد أحرم فى أشهر الحج بعمرة ، فإذا وصل الى البيت وأراد أن يُحلّ ويستعمل ما حَرُم عليه ، فسبيله أن يطوف ويسعى ويُحلّ ويُقيم حلالا الى يوم الحج ، ثم يُحْرم من مكة بالحج إحراما جديداً ، ويقف بعرفة ثم يطوف ويسعى ويُحل من الحج ، فيكون قد تمتع بالعمرة فى أيام الحج — أى انتفع — لأنهم كانو لا يروْن العمرة فى أشهر الحج ، فأجازها الإسلام . انظر : (ابن الأثير : النهاية) ؛ أما عن الروايات التى قالت بأنه عليه السلام حج متمتعاً ، فانظر : (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ١٢٣ — ١٢٨)

(٢) انظر : (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ١٢٠ — ١٢٣) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ب ، ص ١٠٣) .

(٤) الهَدْى — ويقال الهَدِىّ ، ما يُهدى إلى البيت الحرام من النَّعَم لتُنْحر ، ثم أطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هَدْيا ، تسمية للشىء ببعضه . انظر : (اللسان) و (النهاية لابن الأثير) .

(٥) (ل) : « وأمر من كان معه هدى أن لا يهل كما أهل صلى الله عليه وسلم »

— صلى الله عليه وسلم — والناسُ بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله مما لا يحصون كثرة ، كلهم قدم ليأتمّ به — صلى الله عليه وسلم — فلما قدم — صلى الله عليه وسلم — مكةَ لأربع ليالٍ خلوْن من ذى الحجة ، وطاف للقدوم[١] ، ثم سعى بين الصفا والمَرْوَة ، وأمر الذين لم يسوقوا هَدْياً أن يفسخوا حجهم إلى عُمْرة ، ويتحللوا حلا تاما ، ثم يُهلّوا بالحج وقت خروجهم إلى منى ؛ وقال : « ثم لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهَدْى ، ولجعلتها عُمْرَة » ؛ وهذا دليل ظاهر أنه — صلى الله عليه وسلم — لم يكن متمتعاً — كما ذهب إليه بعض أصحاب الإمام أحمد وغيرهم[٢] .

وقدم على بن أبى طالب — رضى الله عنه — من اليمن ، فقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — : « إنى سقتُ الهَدْى وقَرَنْتُ » ؛ روى هذا اللفظ أبو داود وغيره من الأئمة بإسناد صحيح ، وهو صريح[٣] فى القرآن .

وقدم مع على — رضى الله عنه — من اليمن هدايا ، فأشركه — صلى الله عليه وسلم — فى هَدْيه أيضاً[٤] ، فكان حاصلهما مائة بَدَنَة[٥]

---

(١) (ب) : « طاف طواف القدوم » .

(٢) (ب) : « وغيره » .

(٣) (ب) : « صحيح » .

(٤) هذه الجملة فى (ب) بها سقط مما جعل المعنى مضطربا غير مفهوم ، وهذا نصها هناك : « وقدم مع على رضى الله عنه من اليمن ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فى هدية أيضاً فكان حاصلهما .. الخ » .

(٥) البدَنة — والجمع بُدُن وبُدْن — من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم =

ثم خرج — صلى الله عليه وسلم — إلى منى ، فبات بها ، وكانت ليلة الجمعة التاسع من ذى الحجة ؛ ثم أصبح فسار إلى عرفة ، وخطب بنَمِرَة[١] خطبة عظيمة ، شهدها من أصحابه[٢] نحو من أربعين ألفاً — رضى الله عنهم — وجمع بين الظهر والعصر ؛ ثم وقف بعرفة فحج على رحل ، (١٦٦) وكانت زاملته ، ثم بات بالمزدلفة ، وجمع بين المغرب والعشاء ليلة إذٍ ، ثم أصبح فصلى الفجر فى أولى وقتها ، ثم سار قبل[٣] طلوع الشمس إلى منى ، فرمى جمرة العقبة ، ونحر وحلق ، ثم أفاض فطاف بالبيت طواف الفرض — وهو طواف الزيارة — واختلف أين صلى الظهر يومئذ ، وقد أشكل ذلك على كثير من الحفاظ ؛ ثم حلّ من كل شىء حرم[٤] منه — صلى الله عليه وسلم — ثانى يوم النحر ؛ ثم خطب خطبة عظيمة[٥] أيضاً ، ووصّى وحذّر وأنذر ، وأشهدهم على أنفسهم بأنه بلّغهم الرسالة ؛ فنحن نشهد أنه بلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح الأمّة — صلى الله عليه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين — .

= مُتهدى إلى مكة ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها ، وفى القرآن الكريم : «والبدْنَ جعلْنَاها لكم من شعائر الله» . انظر : (اللسان) .

(١) هكذا ضبطها ياقوت ، وقال إنها ناحية بعرفة ، وقال الأزرقى : حيث ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع .

(٢) (ل) : « أصحابنا » .

(٣) الأصل : « مع » وما هنا عن : (ل) و (ب) .

(٤) (ب) : « احرم » .

(٥) صيغة (ل) : « وخطب ثانى يوم النحر خطبة عظيمة » .

ثم أقبل — صلى الله عليه وسلم — منصرفاً إلى المدينة وقد أكمل الله له دينه .

لطيفـــة

النداء[١] بالحج سنة للمسلمين :

وينادى بديار مصر فى رجب[٢] ، وهو قياس ندائه عليه الصـلاة والسلام أول ذى القعدة ، لأن مسافةَ الحج[٣] من المدينـة عشرةُ أيام ، فقُدِّم النداء بثلاثة أمثالها[٤] ، ومسافة الحج فى[٥] البر من مصر أربعون يوماً ، فقُدِّمَ النداء بثلاثة أمثالها ؛ فكانت الجملة من أول رجب إلى انقضاء عشر ذى الحجة خمسة أشهر وعشرة أيام ؛ وكذلك بدمشق ؛ وأول من أدار المحمل الملكُ الظاهرُ بيبرس[٦] البندقدارى — رحمه الله تعالى — .

---

(١) فى الأصل : « النذر » ، وما هنا عن (ب ، ١٠٣ب) ، وهو الصحيح .

(٢) كان يحتفل بدوران المحمل فى مصر على عصر المماليك مرتين ، المرة الأولى فى شهر رجب بعد النصف منه ، والمرة الثانية فى نصف شوال . انظر وصف الاحتفال بهذا الدوران فى : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٧ — ٥٨) .

(٣) فى الأصل : « الخارج » وما هنا عن (ب) وهو الصحيح .

(٤) فى الأصل : « فقـدم الندى بثلاثة أيام » ، وما هنا عن (ب) وبه يستقيم المعنى .

(٥) الأصل « من » ، وما هنا عن (ب) .

(٦) ذكر (على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١ ، ص ٢٩) أن بيبرس كان أول من أمر بدوران المحمل بكسوة الكعبة فى سنة ٦٥٧ هـ .

فصـــل

فى ذكر من حج من الخلفاء فى مدة خلافته

أبو بكر الصديق

رضى الله عنه

اسمه عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم[١] بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك القرشى التيمى ، خليفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

بُويع له بعد وفاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بيعة[٢] العامة يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ؛ فحج [بالناس[٣]] فى هذه السنة عتاب بن أُسيد[٤] ، وقيل عبد الرحمن بن عوف — رضى الله تعالى عنهما — .

وحج أبو بكر — رضى الله عنه — بالناس سنة اثنتى عشرة ،

---

(١) الأصل : « تميم » وما هنا عن (ب) وهو الصحيح ، انظر : (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٩) .

(٢) الأصل : « عامة » وما هنا عن (ل) و (ب) .

(٣) زيادة عن (ل) .

(٤) الأصل : « أسد » ، وما هنا عن (ب) و (الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٢٧٧) .

واستخلف على المدينة عثمان بن عفان — رضى الله تعالى عنه[١] — ؛ وقيل : حج بالناس عمر بن الخطاب — رضى الله عنه[١] — أو عبد الرحمن بن عوف — رضى الله عنه — ؛ والأول أصح .

وتوفى أبو بكر — رضى الله عنه — على رأس سنتين وثلاثة (٦٦ب) أشهر وإثنى عشر يوماً ، وقيل غير ذلك .

عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

ابن نفيل بن عبد العُزّى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدىّ بن كعب القرشىّ العدوىّ أبو حفص ، أمير المؤمنين — رضى الله عنه — .

ولى الخلافة بعد أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — ؛ بويع له بها باستخلافه له فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، واختلف فى اليوم[٢] ، كما اختلف فى يوم وفاة أبى بكر — رضى الله عنه — ؛ وقُتِل مطعوناً بيد أبى لؤلؤة — غلام المغيرة بن شعبة — لثلاث بقين[٣] من

---

(١) هذه الجملة ساقطة من (ب) ، وعن الخلاف فيمن حج بالناس فى هذه السنة انظر : (الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٧) .

(٢) انظر : (ابن الجوزى : تاريخ عمر بن الخطاب ، مطبعة محمد على صبيح بالأزهر ، القاهرة ، — بدون تاريخ — ، ص ٤٠ — ٤١) .

(٣) فى (المرجع السابق ، ص ١٦٣) أنه طعن يوم الأربعاء لأربع ليال بقين =

ذى الحجـة سنة ثلاث وعشرين ، فكانت خلافته عشر سنين ونصف ، حج فى جميعها إلا السـنة الأولى فقط ، فإنه حج بالناس فيها عَتّابُ بنُ أَسَيْد[١] ؛ وقيل : بل حج عمر بالناس سنيه كلها .

وفى سنة سبع [عشرة[٢]] اعتمر عمر — رضى الله عنه — ، وبنى المسجد الحرام[٣] ووسَّـع فيه ، وأقام بمكة عشرين ليلة ، وهدم على قوم أبَوْا أن[٤] يبيعوا دورهم ، وعوّضهم أثمانها من بيت المـال[٥] ، وجدّد أنصاب الحرم على يد مَخْرَمة[٦] بن نَوْفَل فى آخرين ؛ واستأذنه أهل المياه

= من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودُفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة ؛ وفى رواية أخرى أن ولايته كانت عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام .

(١) الذى ذكره (الطبرى ، ج ٤ ، ص ٨٢) أن عمر استعمل على الحج فى السنة الأولى من خلافته عبد الرحمن بن عوف ، ثم حج عمر سنيه كلها بعد ذلك بنفسه ، وكان عامل عمر فى هذه السنة الأولى على مكة عتاب بن أسيد . انظر أيضا : (ابن الجوزى : المرجع السابق ، ص ٨٨) .

(٢) زيادة عن (ل) ، وقد اعتمر عمر فى شهر رجب من هذه السنة .

(٣) انظر : (الازرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٢٥ — ٢٧) .

(٤) الأصل و (ب) : « ابوان » والتصحيح عن (الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٠٦) .

(٥) الذى ذكره (الطبرى ، نفس الجزء والصفحة) أن عمر وضع أثمان دورهم فى بيت المال حتى أخذوها .

(٦) الأصل و (ب) : « مخرمة » و (ل) : « أبو نوفل » والتصحيح عن الطبرى حيث ذكر أسماء من عاونوا مخرمة فى تجديد الأنصاب ، وهم : الأزهر بن عبد عوف ، وحوبطب بن عبد العزى وسعيد بن يربوع » .

فى أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة ، [فأذن[1]] لهم ، وشرط عليهم أن ابنَ السبيل أحقّ بالظل والماء .

ثم خرج من المدينة عام الرمادة[2] حاجا أو معتمراً ، فأتى الجارَ[3] ليرى السفن التى قدمت من مصر فى الخليج[4] الذى احتفره عمرو بن العاص — كما ذكرتُ خبره فى كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط

---

(١) هذا اللفظ ساقط من الأصل ، وموجود فى (ب) . وفى المرجع الأصيل المنقول عنه هنا وهو الطبرى .

(٢) (ل) : (عام الزيادة) هذا وقد حدثت مجاعة فى شبه جزيرة العرب أواخر السنة السابعة عشرة وطول السنة الثامنة عشرة وكان سببها انقطاع المطر فى شبه الجزيرة تسعة أشهر كاملة ثم تحركت الطبقات البركانية من أرضها فاحترق سطحها وكل ما عليه من نبات ، وصارت الأرض سوداء مجدبة كثيرة التراب ، فإذا تحركت الريح سَفَتْ رمادا ، ولهذا سمى هذا العام عام الرمادة . وقد بذل عمر جهودا كثيرة للقضاء على هذه المجاعة الخطيرة منها استنجاده بعماله على الأقاليم المفتوحة ومنها مصر . انظر : (الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ وما بعدها) و (محمد حسين هيكل : الفاورق عمر ، ج ١ ، ص ٢٨٧ وما بعدها) .

(٣) ذكر (البكرى : معجم ما استعجم) أن الجار هو ساحل المدينة ، وهى قرية كثيرة القصور والأهل على شاطئ البحر فيما يوازى المدينة ، ترْفَأ إليها السفن من مصر والحبشة ، ومن البحرين والصين .

(٤) كان هذا الخليج يصل بين النيل والبحر الأحمر ولكنه كان عند الفتح العربى مطمورا بالرمال ، فلما كانت سنة الرمادة وأرسل عمرو الطعام من مصر إلى الحجاز تحمله الجمال بطريق البر فكر بعد ذلك فى إعادة حفر الخليج ليسهل إرسال القمح والميرة تحمله السفن بطريق البحر ، وسمى الخليج منذ ذلك الحين بخليج أمير المؤمنين . انظر أخبار هذا كله بالتفصيل فى : (ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٦٢ — ١٦٤) و (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٢) حيث وردت هذه الأخبار بالتفصيل .

والآثار[١] » — ؛ وقال للناس : « سـيروا بنا[٢] ننظر إلى السفن التى سيَّرها[٣] الله تعالى إلينا من أرض فرعون » ؛ وأكل فى سـفره هذا — وهو مُحْرِمٌ — لحمَ ظبى أصابه قوم حـلال ، فلما نزل على البحر قال : « اغتسلوا من ماء البحر ، فإنه مبارك » .

ثم صكَّ للناس بذلك الطعام صكوكا ، فتبايع التجار الصـكوك[٤] بينهم قبل أن يقبضوها ، فلقى عمرُ العلاء بنَ الأسوَد ، فقال : « كم ربح حكيمُ بنُ حِزام ؟ » ، فقال : « ابتاع من صكوك الجـار[٥] بمائة ألف درهم ، وربح عليها مائة ألف » ، فلقيه عمر ، فقال : « يا حـكيم : كم ربحتَ ؟ » ، فأخبره بمثل خبر العلاء ، قال : « فبعتَه قبل أن تقبضَه ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « فإن [هذا[٦]] بيع لا يصلح ، فارْدُده » ، قال :

---

(١) أشار المقريزى هنا إلى كثير من مؤلفاته الأخرى ، وهذه هى ثانى إشارة إلى هذه الـكتب ، فقد سبق أن أشار إلى كتاب (شارع النجاة) ، ولهذه الإشارة إلى المواعظ والاعتبار » أهمية خاصة ، فهى تعنى أنه ألف كتابه هـذا « الذهب المسبوك » بعد أن فرغ من تأليف كتابه الآخر « المواعظ والاعتبار » وهـذا يعيننا على تحديد تاريخ تأليف هذا الـكتيب . انظر المقدمة هنا .

(٢) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٣) (ب) : « صبرها » .

(٤) (ب) : « السكوك » .

(٥) الأصل : « التجار » والتصحيح عن : (ب) وابن عبد الحـكم والمقريزى (المرجعين السابقين) .

(٦) أضيف هذا اللفظ عن : (ب) والمرجعين السابقين .

« ماعلمتُ أن هـذا لا يصلح ، وما أقدر على رَدِّه » ، قال [عمر] : « ما بُدٌّ » ، قال : « والله ما أقدر على ذلك ، (١٦٧) وقد تفرّق وذهب ، ولـكن رأس مالى وربحى صدقة » .

واتفق فى آخر حَجّة[1] حجّها عمر — رضى الله عنه — أنه لما رمى الجمرة أتاه حجر[2] فوقع على صلعته ، فأدماه ، وثَمَّ رجل من بنى لِهْب ، فقال : « أشعر أمير المؤمنين لا يحج بعدها[3] » ، ثم جاء إلى الجمرة الثانية ، فصاح رجل : « يا خليفة رسول الله » ، فقال : « لا يحج أمير المؤمنين بعد عامه هذا » ، فقُتل عمر — رضى الله عنه — بعد رجوعه من الحج .

(لِهْب[4] مكسورة قبيلة من قبائل الأزد تعرف بها العيافة والزجر)

عن عائشة — رضى الله عنها — أنّ عُمرَ أذن لأزواج النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يحججن[5] فى آخر حَجّة حجها ، قالت : « فلما ارتحل من المَحْصَبة[6] أقبل رجل متلثم ، فقال — وأنا أسمع — : « أين

---

(١) كانت فى السنة الثالثة والعشرين للهجرة وهى السنه التى توفى فيها .
(٢) هذان اللفظان ساقطان من (ب) .
(٣) رواية (ابن سعد : الطبقات) أن الرجل قال : « أُشعِرتُ — ورب الـكعبة — لا يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبداً » .
(٤) ضبط اللفظ بعد مراجعة : (عمر بن يوسف بن رسول : طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب ، نشر ستر ستين ، ص ٢٧) حيث قال إن الأزد جرثومة من جراثيم العرب افترقوا على نيف وعشرين قبيلة ، ثم ذكر أسماءها ، وبين بينها لِهْب .
(٥) (ب) : « يحججوا » .
(٦) (ب) : « العصبة » وفى : (ابن الجوزى : تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١٥٠) و (ابن سـعد : الطبقات) : « المحَصَّب » وفى (معجم ياقوت) : المحصب موضع فيما بين مكة ومنى وهو موضع رمى الجمار بمنى ويقال له الحصابُ أيضاً .

كان منزلُ أمير المؤمنين ؟ » ، فقال قائلٌ — وأنا أسمع — : « هذا كان منزله » ، فأناخ فى منزل عمر ، ثم رفع عقيرته يتغنى :

عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ أَمِيرٍ(١) وبارَكَتْ
يَدُ اللهِ فى ذَاكَ الأديمِ المُمَزَّقِ

فَمَنْ يَجْرِ(٢) أو يَرْكَبْ جَنَاحَىْ نعامةٍ
لِيُدْرِكَ ما قَدَّمْتَ بالأمسِ يُسْبَقِ

قضيْتَ أُموراً ثمَّ غادرتَ بَعدها
بَوَائقَ(٣) فى أَكمامِها لَمْ تُفَتَّقِ

قالت عائشة : فقلت لبعض أهلى : « اعلموا لى من هذا الرجل » فذهبوا فلم يجدوا فى مناخه أحداً ؛ قالت عائشة : « فوالله إنى لأحسبه من الجن » .

فلما قُتِل عمر — رضى الله عنه — نحل الناسُ هذه الأبيات للشماخ ابن ضرار ، أو لأخيه مزرد(٤) ؛ هكذا روى هذا الخبر الحافظ أبو عمر [يوسف(٥)] بن عبد الله بن عبد البرّ النمرى ؛ وذكر محمد بن عمر

---

(١) رواية (ابن سعد) : « إمام » ؛ وفى (ب) : « سلام الله » .

(٢) ورواية ابن سعد : « فمن يَسعَ » .

(٣) فى جميع النسخ : « بوايح » وما هنا صيغة (ابن سعد) و (ابن الجوزى) .

(٤) ترجمة الشاعرين فى (المرزبانى : معجم الشعراء ، ص ١٣٨ و ١٩٠ و ٤٩١)

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ب ١٠٥) وانظر ترجمته فى : (ابن بشكوال : كتاب الصلة) و (ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب) و(ابن خلكان : وفيات الأعيان) و (الزركلى : الأعلام) .

الواقدى[1] فى « كتاب الفتوح » هذه الأبيات بزيادة فى عدتها .

وقال أبو عثمان النَهْدِى[2] : [« رأيت عمر يرمى الْجَمْرة وعليه إزار مرقوع بقطعة جراب » ؛ وقال علىّ بن أبى طالب[3]] : « رأيت عمرَ يطوف بالكعبة وعليه إزار فيه إحدى[4] وعشرون رقعة فيها[5] من أدم » .

وعن سعيد بن المُسَيّب[6] قال : « حجَّ عمرُ ، فلما كان

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمى من أقدم مؤرخى الإسلام ، ولد سنة ١٣٠ هـ وتوفى سنة ٢٠٧ هـ ولم أستطع مراجعة هذه الأبيات على كتابه الفتوح المذكور هنا فإن له أكثر من كتاب فى الفتوح منها : (فتح مصر والاسكندرية) و (فتوح أفريقية) و (فتوح الجزيرة) و (فتوح الشام) و (فتوح البهنسا) ... الخ انظر ترجمته فى (ابن النديم : الفهرست) و (ابن خلكان : الوفيات) و (ابن فرحون : الديباج المذهب) و (الذهبى : ميزان الاعتدال) و (سركيس : معجم المطبوعات العربية) و (الزركلى : الأعلام) .

(٢) لعله عبد الله بن عمرو النهدى أحد المقدمين من أصحاب المختار الثقفى ، شهد صفين مع على ، وشهد مع المختار أكثر وقائعه وقتل معه فى حرب مصعب بن الزبير على مقربة من الكوفة سنة ٦٧ هـ . انظر (الزركلى : الأعلام) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ل) .

(٤) الأصل : « أحد » ، والتصحيح عن (ب) وفى رواية أخرى عن أبى عثمان النهدى أن الإزار كان فيه ثلثا عشرة رقعة إحداهن بأديم أحمر . انظر : (ابن الجوزى : تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١٠١) .

(٥) كذا فى الأصل ، ولعل صحتها : « فيها أدم » أو « بعضها من أدم » انظر : (المرجع السابق) و (ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٩) .

(٦) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبى وهب المخزومى القرشى ، =

بضَجْنَان[١] قال : « لا إله إلا الله [العظيم[٢]] المعطى مَن شاء ما شاء ، كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادى فى مِدْرَعةٍ[٣] صوف ، وكان فظًّا يتعبنى[٤] إذا عملت ، ويضربنى إذا قصَّرتُ ، وقد أمسيتُ وليس بينى وبين الله أحد ؛ ثم تمثَّل :

لا شىء فيما[٥] ترى تبقى[٦] بشاشتُه
يبقى الإله ويودى المالُ والولدُ

= سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من تجارة الزيت ولا يأخذ عطاءً ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمى « راوية عمر » انظر ترجمته فى (ابن سعد : الطبقات) و (ابن خلكان : الوفيات) .

(١) الأصل و (ب) : « بضحنان » ، والتصحيح والضبط عن : (البكرى : معجم ما استعجم) حيث ذكر أنه جبل بناحية مكة على طريق المدينة .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ب) .

(٣) الدُّرّاعة والمِدْرع نوع من الثياب يشبه القباء ، أو هو جبة مشقوقة المقدم ، والمِدْرَعة نوع آخر شبيه بهما ولكنه لا يصنع إلا من الصوف الغليظ الخشن ، وكانت المدرعة عادة من ملابس عامة الناس وفقرائهم . انظر : (ابن دريد : الجمهرة) و (اللسان) و Dozy : *Supp. Dict. Arab; Dict. des Noms des Vétements*

(٤) (ب) . « يتبعنى » .

(٥) الاصل و ب : « مما » والتصحيح عن : (ابن الجوزى : تاريخ عمر ابن الخطاب ، ص ١٣٤) و (ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٠) .

(٦) الأصل و (ب) : « يبقى » والتصحيح عن المرجعين السابقين .

لم(١) تغنِ عن هرمز يوماً خزائنُه
والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ ، فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجرى الرياحُ له
والإنسُ والجنُّ فيما بينها بردُ

أين الملوكُ التى كانت نوافلُها(٢)
من كلِّ أوْبٍ إليها راكبٌ يَفِدُ

حوضٌ هنالكَ موردٌ بلاَ كَدَرٍ(٣)
لا بُدَّ مِن وَردِهِ يوماً كما وَرَدُوا

عثمان بن عفان

رضى الله عنه

ابن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَىٍّ القرشى الأموى ، أبو عبد الله ، وأبو عمرو ، وذو النورَين [أمير المؤمنين رضى الله عنه(٤)] ؛ بويع له بالخلافة يوم السبت غرة(٥) المحرم سنة أربع وعشرين ،

---

(١) هذا البيت غير موجود فى (ب) .
(٢) (ب) : « تداولها » . وما هنا يتفق ونص المرجعين السابقين .
(٣) كذا فى الأصل و (ب) ؛ ونص الشطرة فى المرجعين السابقين : « حوضاً هنالك مورودأ بلا كذب » .
(٤) ما بين الحاضرتين زيادة عن (ب) .
(٥) (ل) : « عشرة » ، وفى رواية أخرى أنه بويع له لثلاث مضين من المحرم . (ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٦ و ٣٨) .

بعد دفن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — بثلاثة أيام ، باجتماع الناس عليه .

وقُتِل بالمدينة يوم الْجُمعة لثمانى عشرة أو سبع عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ؛ وذلك على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر — رضى الله عنه — حج فيها كلها إلا السنة الأولى والأخيرة .

وذكر ابن الأثير أنه حجّ بالناس فى السنة الأولى ؛ وقيل : بل حجّ بالناس عبدُ الرحمن بنُ عوف بأمر عثمان[1] — رضى الله عنهما — .

ولما حج فى سنة تسع وعشرين ضرب فسطاطه بمنى ، فكان أول فسطاط ضرب به عثمان بمنى[1] ، وأتم الصلاة بها و بعرفة ، فكان أول ما تكلم به الناس فى عثمان ظاهراً حين أتم الصلاة بمنى ، فعاب[2] ذلك غيرُ واحد من الصحابة ؛ وقال له علىٌّ رضى الله عنه : « ما حدث أمرٌ ، ولا قدم عهدٌ ، ولقد عهدتُ النبي — صلى الله عليه وسلم — وأبا بكر وعمر يصلون ركعتَين ، وأنت صليتَ ركعتيْن صدراً من خلافتك » ، فما درى ما يرجع إليه ، وقال : « رأىٌ رأيتُه » .

و بلغ الخبرُ عبدَ الرحمن بن عوف — رضى الله عنه ، وكان معه —

---

(١) ما بين الرقمين ساقط من (ب) .

(٢) (ب) : « وكان » .

فجاءه وقال : « ألم تصلِّ في هذا المكان مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبي بكر وعمر ركعتيْن ؟ » ، قال : « بلى ، ولكن أخبرتُ أن بعضَ من حجَّ من اليمن[١] وجفاة[٢] الناس قالوا : إن الصلاة للمقيم ركعتان[٣] ، واحتجوا بصلاتى ، وقد اتخذتُ بمكة أهلاً ، ولى بالطائف مال » ؛ فقال عبدُ الرحمن بن عوف : « ما فى هذا عذرٌ ؛ أما قولك : اتخذتَ بها أهلاً ، فإن زوجتك بالمدينة تخرج لها[٤] إذا شئت ، وإنما تسكن بسكناك ؛ وأما مالك بالطائف فبينك و بينه مسيرةُ ثلاث ليال ؛ وأما قولُك عن حاج اليمن وغيرهم فقد كان رسول الله — صلى الله عليه (١٦٨) وسلم — ينزل عليه الوحىُ والإسلام قليل ؛ ثم أبو بكر وعمر ، فصلوا ركعتين وقد ضرب الإسلام بجرانه » ؛ فقال عثمان : « هذا رأىٌ رأيتُه » ؛ فخرج عبد الرحمن فلقى عبدَ الله بنَ مسعود ؛ فقال : « يا أبا محمد : قد غيَّرَ ما تَعْلَمْ » ، قال : « فما أصنع ؟ » قال : « اعمل بما ترى وتعلم » ، فقال ابنُ مسعود : « الخلافُ شرٌّ ؛ وقد صليتُ بأصحابى أربعاً » ؛ فقال عبد الرحمن : « قد صليتُ بأصحابى ركعتيْن ، وأما الآن فسوف أصلى أربعاً » — وقيل : كان ذلك سنة ثلاثين .

---

(١) (ل) : « العرب » وما هنا عن الأصل و (ب) .

(٢) (ب) : « وحفاة » .

(٣) جميع النسخ : « ركعتين » وقد صححت بعد مراجعة المصدر المنقول عنه هنا وهو : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٥٠) .

(٤) فى (ابن الأثير) : « بها » .

ولم يحج أمير المؤمنين عليٌّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — فى خلافته ، لاشتغاله بحرب الجمل وصِفّين .

معاوية بن أبى سفيان

واسمه صَخْرُ بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى . أبو عبد الرحمن ، أميرُ المؤمنين ؛ كان أميراً بالشام نحو عشرين سنة .

وبايع له أهل الشام خاصة بالخلافة سنة ثمانٍ أو تسع ، واجتمع الناس عليه حين بايع له الحسنُ بن على — رضى الله عنهما — وجماعةُ مَنْ معه فى ربيع [الآخر][1] أوجمادى [الأولى[1]] سنة إحدى وأربعين ، وقيل سنة أربعين ؛ فأقام فى الخلافة تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما ؛ وقيل غير ذلك .

وحجَّ بالناس عدة سنين أولها سنة [أربع][2] وأربعين ، ولم يحج سنة خمس وأربعين ، فحجَّ بالناس مروانُ بن الحكم ، ثم حجَّ معاويةُ سنة خمسين ، وقيل بل حجَّ بالناس ابنه يزيدُ ؛ وقيل : حجّ معاويةُ عدة سنين أكثر من هذه .

---

(١) زيد ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢١١).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ب ، ١٠٦ب) ، راجع أيضاً : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٢٦) .

عبد الله بن الزبير

ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ ، القرشى الأسدى ، أبو بكر — وقيل أبو بكير ، وأبو خُبيب[١] — أميرُ المؤمنين رضى الله عنه .

بويع له بالخلافة سنة أربع — وقيل خمس — وستين بعد موت معاوية بن أبى سفيان ؛ وكان قبل ذلك لا يُدْعَى بالخلافة[٢] ، واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان .

وحجَّ بالناس ثمانى حجج ؛ وقُتِل — رحمه الله تعالى — على يد الحجاج بن يوسف الثقفى فى أيام عبد الملك بن مروان بن الحكم يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى [وقيل : جمادى الآخرة][٣] سنة ثلاث وسبعين ، وصُلب بعد قتله بمكة .

وبدأ الحجاج بحصاره من أول ليلة من ذى الحجة سنة اثنين وسبعين .
(٦٨ب) وحجَّ بالناس الحجاج فى ذلك العام ، ووقف على عرفة وعليه دِرْعٌ[٤]

---

(١) الأصل و (ب) . «أبو حبيب» وقد صحح الاسم وضبط عن : (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٤١) .

(٢) الأصل و (ب) : « بالخليفه » وما هنا عن (ل) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ل) و (ب) .

(٤) الدرع لبوس الحديد يلبسها الجندى أثناء الحرب والقتال ليتدرع بها ، وقيل هى الزردية انظر : (اللسان) .

ومِغْفَر[١] ؛ ولم يطوفوا بالبيت فى تلك السنة[٢] ، فحاصره الحجّاج ستة أشهر وسبعة عشر يوما إلى أن قُتل .

ولما غزاه أهل الشام فى أيام يزيد بن معاوية احترقت الكعبة فى سنة أربع وستين ، فتركها ابن الزبير ليشنِّع بذلك على أهل الشام ؛ فلما مات يزيد ، واستقرَّ الأمرُ له ، هدمها إلى الأرض ، وبناها على قواعد إبراهيم — عليه السلام — وأدخل فيها الحِجْر ، وجعل لها بابيْن[٣] .

فلما قتل الحجاجُ عبدَ الله بن الزبير هدم بناء ابن الزبير من الكعبة فى سنة أربع وسبعين ، وجعلها على ما هى عليه الآن — كما قد ذكرتُ ذلك فى كتاب «الإشارة والإعلام ببناء الكعبة البيت الحرام»[٤] ذكرا شافيا .

---

(١) أصل الغَفْر الستر والتغطية ؛ والمِغْفَرُ ، والمِغْفَرَةُ ، والغِفارَةُ زَرَدٌ ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، وقيل هو رفرف البيضة ، وقيل هو حلق يتقنع به المتسلح ، وقيل هو حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة تسبغ على العنق فتقيه ، وربما كان المغفر مثل القلنسوة غير أنها أوسع يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع ثم يلبس البيضة فوقها ، وربما جعل المغفر من ديباج وخز . (اللسان) .

(٢) (ب) : « الحجة » .

(٣) لاستيفاء هذا الموضوع انظر : (الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ص ٥٥ — ٥٧) و (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٤١ — ١٤٢) و (الذهبى : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ و ٣٧١) .

(٤) هذا هو الكتاب الثالث من كتب المقريزى الأخرى التى يشير إليها هنا فى رسالته هذه ، وقد أشار من قبل إلى كتابيه : (شارع النجاة) و (المواعظ والاعتبار) ، انظر ما فات هنا ، ص ٥ و ٧ و ١٦ ؛ وتبعاً للمراجع والفهارس المختلفة لا يوجد من هذا الكتاب إلا نسخة واحدة ضمن مجموعة تضم كتب المقريزى ورسائله الصغيرة توجد بمكتبة لايدن تحت رقم ٢٤٠٨ ، وتحتوى على ١٩ كتابا ، وهذا الكتاب هو الكتاب الخامس =

عبد الملك بن مروان

[ابن الحكم][1] ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى .

قام بدمشق بعد موت أبيه فى شهر رمضان سنة خمس وستين ، و بمكة عبدُ الله بن الزبير يُدعى له بالخلافة ، وعلى العراق المختارُ بن أبي عُبيد الثقفى[2] يدعو لمحمد بن الحنفيَّة[3] ، والأرض تستعر حرباً منذ قُتل الحسين ابن على ابن أبي طالب — رضى الله عنهما — فساعدت الأقدارُ عبدَ الملك

= عشر فى ترتيب هذه المجموعة ، وعنوانه هناك : « كتاب فيه ذكر ماورد فى بنيان الكعبة المعظمة » وللعنوان هنا أهميته فإنه يبدو أنه العنوان الذى اختاره المقريزى للكتاب فقد صيغ الصياغة المسجعة المتواترة فى عناوين الكتب فى ذلك العصر .

(١) زيد ما بين الحاصرتين للاستيفاء ، راجع : (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٤٣) .

(٢) لاستيفاء أخبار المختار راجع : (الذهبى : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ و ٣٦٩ ، ٣٧٢ — ٣٧٤ و ٣٧٧ — ٣٧٩) .

(٣) أبو القاسم محمد — المعروف بابن الحنفية — كان كثير العلم والورع ، شديد القوة ، حمل راية أبيه يوم الجمل ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ ومكان وفاته ، فيقال إنه توفى أول المحرم سنة ٨١ هـ أو سنة ٨٢ ، وقيل سنة ٧٢ أو ٧٣ ، والتاريخ الأول أرجح ؛ وروى إنه توفى بالمدينة وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان — وكان والى المدينة يومئذ — ودُفن بالبقيع ، وقيل إنه خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات هناك ، وقيل إنه مات ببلاد أيلة ، والفرقة الكيسانية تعتقد إمامته ، وأنه مقيم بجبل رضوى فى شِعب منه ولم يمت ، دخل إليه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر وهم أحياء يرزقون . انظر : (ابن خلكان : الوفيات) و (الذهبى : تاريخ الإسلام ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ — ٣٠٢) و (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، نشر الدكتور الشيال ، ص ٥ و ٧) .

ابن مروان وقتل جميعَ من خالفه ؛ وأقام فى الخلافة بعد ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال — كما قد ذكرت ترجمته وترجمة أبيه فى التاريخ الكبير[1] لمصر — فإنهما دخلاها .

وحجَّ عبد الملك فى خلافته سنتين ، إحداهما[2] سنة خمس وسبعين ، فهَمَّ شبيب بن يزيد — أحدُ الخوارج — أن يفتك به ، فبلغه ذلك ، فاحترس وكتب إلى الحجاج بن يوسف — بعد انصرافه — يأمره بطلب صالح بن مُسَرِّح[3] وغيره من الخوارج ، فكان من أخبارهم ما قد ذُكر فى موضعه .

(١) هذا رابع كتاب من كتب المقريزى الأخرى يشير إليه هنا انظر ما فات هنا ص ٥ و ٧ و ١٦ و ٢٦ ، ويقصد به « كتاب المقفى الكبير » وهو كتاب قصد به المؤلف أن يكون معجما لتراجم رجالات مصر الذين حكموها أو برزوا فى أية ناحية من نواحى تاريخها وضمنه أيضاً تراجم من زاروها أو أقاموا بها من غير المصريين فهو أشبه ما يكون بالمعجم الإنجليزى الحديث *The Dictionary of National Biographies* وهو مشروع ضخم كان يقدر له المقريزى أن يتم فى ٨٠ مجلداً ولكنه لم ينجز منه إلا ١٦ مجلداً ، وقد ضاعت بعض هذه المجلدات ، وبقى البعض الآخر مبعثراً فى مكتبات العالم ، ومعظم الأجزاء الباقية بخط المؤلف ؛ ففى مكتبة ليدن ٣ مجلدات تحت رقم ١٠٣٢ ، وفى مكتبة باريس ٤ مجلدات تحت رقم ١٣٦٦ ، ومن الأخيرة صورة شمسية بدار الكتب المصرية . انظر : مقدمة كتاب (المقريزى : نحل عبر النحل ، نشر الشيال) و (محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر ، ص ١٣) و (فهرس دار الكتب المصرية : المجلد الثامن) .

(٢) (ب) : « أحدهما » و (ل) : « إحديهما » .

(٣) الأصل : « مسرح » وما هنا عن (ب) وقد ضبط الاسم بعد مراجعة (ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٠ — ١٩٢) حيث ذكر تفاصيل وافية عن ترجمة صالح بن مسرح وثورته ونهايته .

وخطب عبد الملك الناس بالمدينة النبوية ، فقال — بعد حمد الله والثناء عليه — :

« أما بعد ، فإني لستُ بالخليفة المستضعف — يعنى عثمان بن عفَّان — ولا بالخليفة المداهن [يعنى معاوية][1] ، ولا بالخليفة المأفون[2] — يعنى يزيد بن معاوية — ؛ ألا و إنى لا[3] أداوى هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم [لى][4] قناتكم ، و إنكم تكلفونا[5] أعمال المهاجرين الأولين ، ولا تعملون[6] مثل أعمالهم ، (١٦٩ ا) وأنكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم ؛ واللهِ لا يأمرنى أحدٌ بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عُنقه » . ثم نزل .

الوليد بن عبد الملك
ابن مروان

بُويع بعد موت أبيه بعهده إليه النصفَ من شوّال سنة ست وثمانين ؛ وكانت خلافتُه تسعَ سنين وسبعةَ أشهر .

وعَمَّرَ مسجدَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سنة ثمانٍ ، وكان

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ب ، ١٠٧ ب) و (ل) و (ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٠) .

(٢) الأصل و (ب) : « المأبون » والتصحيح عن ابن الأثير .

(٣) الأصل : « وإن » ، والتصحيح عن (ب) وابن الأثير .

(٤) ما بين الحاصرتين عن (ب) وابن الأثير .

(٥) كذا فى الأصل و (ب) ؛ وعند ابن الأثير : « تحفظون » .

(٦) جميع النسخ : « تعملوا » ، والتصحيح عن ابن الأثير .

على يد عمر بن عبد العزيز — وهو على المدينة — فكتب إليه فى ربيع الأول يأمره بإدخال حُجَر أزواج النبى [(١ فى مسجد رسول الله ١)] — صلى الله عليه وسلم — وأن يشترى ما فى نواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مثلها ، وأن يقدِّم القبلة ؛ فقوّم عمرُ الأملاكَ قيمةَ عدل ، وأعطى الناس أثمانها ، وهدم بيوت أزواج النبى — صلى الله عليه وسلم — ، وبنى المسجد ، وأتته الفَعَلةُ من الشام (٢) .

وبعث الوليد بما عزم عليه إلى ملك الروم ، فبعث إليه مائة (٣) ألف مثقال ذهباً ، ومائة عامل ، وأربعين حِمْلا من الفسيفساء ؛ فحمل الوليد ذلك إلى عمر بن عبد العزيز ، فحضر عمر ومعه الناس فوضعوا أساسَ المسجد ، وابتدأوا بعمارته ؛ وكتب أيضاً إلى عمرَ أن يُسهل الثنايا ، ويحفر الآبار ، ويصل الفوّارة بالمدينة ، فعملها وأجرى ماءها ؛ ولما حج الوليد ورآها أعجبته ، فأمر لها (٤ بقوّام يقومون عليها ، وأمر أهل المسجد أن يسقفوا منها ؛ وكتب إلى ٤) جميع البلاد بإصلاح الطرق وعمل الآبار بطريق الحجاز ، ومنع المجذومين من الخروج على الناس ، وأجرى لهم

---

(١) ما بين الرقمين زيادة عن (ل) .

(٢) هناك زيادات تفصيلية قيمة عن الزيادة فى مسجد الرسول فى عهد الوليد فى . (ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، نشر صالح محمد جمال ، ص ٨١ — ٨٤) .

(٣) الأصل : « مائتى » ، والتصحيح عن (ب) و (ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦) حيث ذكر هذا الخبر مع اختلاف فى الاسلوب .

(٤) مابين الرقمين ساقط من (ب) .

الأرزاق . وكان حجه فى سنة إحدى وتسعين ، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، وأخرج الناس منه ، ولم يبق غير سعيد بن المسيّب[١] ، فلم يجسر أحد من الحرس يُخرجه ، فقيل له : « لو قمتَ » ، فقال : « لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه » ، فقيل : « لو سلّمتَ على أمير المؤمنين » ، قال : « والله لا أقوم إليه » ، قال عمرُ ابن عبد العزيز : « فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد لئلاّ يراه » ، فالتفت الوليد إلى القبلة فقال : « مَن ذلك الشيخ ، أهو سعيد ؟ » ، قال عمر : « نعم ، ومِن حاله كذا [وكذا[٢]] ، ولو علم بمكانك لقام فسلّم عليك ، وهو ضعيف البصر » ، فقال الوليد : « قد علمتُ حاله ، ونحن نأتيه » ؛ فدار فى المسجد ثم أتاه ، فقال : « كيف أنتَ أيها الشيخ ؟ » ، فوالله ما تحرك سعيد بل قال[٣] : « بخير والحمد لله ، (٦٩ ب) فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ » ؛ فانصرف الوليد وهو يقول لعمر : « هذا بقية الناس » . وقسّم (الوليد) بالمدينة أموالاً[٤] كثيرة ، وصلّى بها الجُمعة ، فخطب الناس الخطبة الأولى جالساً ، ثم قام فخطب الثانية قائما ،

---

(١) انظر ما فات هنا ، ص ١٩ ، هامش ٦ .

(٢) ما بين الحاصرتين عن (ب) و (ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٦٦) . انظر أيضا : (الطبرى ، ج ٨ ، ص ٨١ — ٨٢) .

(٣) جميع النسخ : « فقال » ، وما هنا عن ابن الأثير .

(٤) صيغة (الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٨٢) : « وقسم الوليد بالمدينة رقيقا كثيرا عُجْما بين الناس وآنيه من ذهب وفضة وأموالا » . انظر أيضا : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٦٦) .

فقال رجل [١] لرجاء بن حيوة : « أهكذا يصنعون ؟ » ، قال : « نعم ، وهكذا صنع معاوية ، وهلم جرّا » ، فقيل له : « ألا تكلمه [٢] ؟ » ، فقال : « أخبرني قبيصة بن ذؤيب أنه كلّم عبد الملك [بن مروان] في القعود فلم يتركه ، وقال : هكذا خطب عثمان » ؛ قال ، فقلت : « والله ما خطب [عثمان] إلا قائما » ؛ قال رجاء : « رُوى لهم شيء فأخذوا به »

سليمان بن عبد الملك
ابن مروان

بويع بعد موت أخيه الوليد في نصف جمادى الآخرة [سنة ست وتسعين] [٣] وهو بالرملة ، فأقام بالخلافة سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام .

وحَجَّ بالناس سنة سبع وتسعين ، وكتب إلى خالد بن عبد الله القسرى [٤] — وهو على مكة — « أن أجْرِ لى عيناً يخرج من مائها العذب

---

(١) عند (الطبرى) و (ابن الأثير) أن الذى تحدث فى هذا هو إسحاق ابن يحيى .

(٢) فى (ب ، ١٠٨ ب) : « لا تكلمه » ، وما هنا هو الصحيح ويتفق ونص الطبرى وابن الأثير .

(٣) زيد ما بين الحاصرتين للايضاح بعد مراجعة : (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١١٠) .

(٤) هو خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد القسرى ، ولد سنة ٦٦ هـ وتوفى سنة ١٢٦ هـ ، أحد خطباء العرب ، ولى مكة سنة ٨٩ هـ للوليد بن عبد الملك وظل واليا عليها فى عهد سليمان ، ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥ هـ فأقام بالكوفة إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠ هـ وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفى ، وأمره أن يحاسبه ، فسجنه يوسف وعذبه ، ثم قتله بالحيرة فى أيام الوليد بن يزيد . انظر : (بن خلكان : الوفيات) (والزركلى : الأعلام) .

الزلال ، حتى تخرج من[1] بين زمزم والمقام ، فعمل خالد بركة بأصل ثَبِير[2] من حجارة ، وأحكمها وأنبط ماءها[3] وشقّ لها فلجاً يسكب فيها من شِعْب فى الجبل ، ثم شَقّ[4] من البركة عيناً تخرج إلى المسجد الحرام ، تجرى فى قصب من رصاص ، حتى أظهره من فوّارة تسكب فى فسقيّة[5] من رخام بين زمزم والمقام ؛ فلما جرت وظهر ماؤها أمر القَسْرِىُّ بجزور فنُحرت بمكة ، وقُسِّمت بين الناس ، وعمل طعاماً دُعى إليه الناس ؛ ثم أمر صائحاً فصاح : « الصلاةُ جامعة » ، وأمر بالمنبر فوُضع فى وجه الكعبة ، ثم صعد فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أيها الناس : احمدوا الله ، وادعوا لأمير المؤمنين الذى سقاكم الماء العذب الزلال النقاخ » .

---

(١) هذا اللفظ غير موجود فى (ل)

(٢) الأصل و (ب) : « تبير » وقد صحح اللفظ وضبط بعد مراجعة : (البكرى : معجم ما استعجم) حيث ذكر أنه جبل بمكة ، ثم قال : وهى أربعة أثبرة بالحجاز ، وإنما المقصود هنا هو ثبير مكة .

(٣) ذكر كل من (الطبرى) و (ابن الأثير) فى حوادث سنة ٨٩ هـ أن هذه البركة حفرت فى عهد الوليد بن عبد الملك . انظر أيضا : (الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٨٥ — ٨٦) ففيه حديث تفصيلى عن هذه البركة ؛ ويبدو أنه المرجع الذى ينقل عنه المقريزى هنا باختصار فالشبه كبير بين النصين .

(٤) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٥) الفسقية (والجمع فساقى) حوض يجتمع فيه المياه أو هى مجمع الماء كما ذكر (الخفاجى : شفاء الغليل ، ص ١٧٣) ثم قال : « اشتهر فى الاستعمال ، ولا أدرى له أصلا » انظر أيضا : (Dozy : *Supp. Dict. Arab*)

فكانت تفرغ تلك الفسقيّة فى سرب من رصاص يخرج إلى موضع وضوء[١] كان عند باب الصفا ، وفى بركة كانت [٢]فى السوق[٢] ؛ وكان الناس لا يقفون على تلك الفسقيّة ، ولا يكاد أحد يقربها ؛ وكانوا على شرب ماء زمزم أحرص ، وفيه أرغب ؛ فصعد خالد المنبر ، وأنّب الناس وأقذع فى كلامه .

فلم تزل البركة حتى هدمها داود بن [على بن][٣] عبد الله بن عباس فى خلافة أبى العباس السفّاح وصَرَفَ العينَ إلى بركة بباب المسجد ، و بقى السربُ من الرصاص حتى قدم بِشْرُ الخادم من بغداد إلى مكة فى سنة ست وخمسين ومائتين (١٧٠) فعمل القبة بجانب بيت الشراب ، وأخرج قصب خالد فجعلها فى سرب الفوّارة التى يخرج منها الماء إلى حياض زمزم ؛ فتَصبّ فى هذه البركة .

هشام بن عبد الملك

ابن مروان

استخلف بعد موت أخيه يزيد بن عبد الملك لليالٍ بقين من شعبان

---

(١) الأصل : « رخو » ، وما هنا عن (ب) ؛ و (الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٨٦) .

(٢) هذان اللفظان ساقطان من (ب) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ب ، ١٠٩ ا) و (الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٨٦) .

سنة خمس ومائة ، فقام فى الخلافة تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وأحد وعشرين[1] يوما — وقيل ثمانية أشهر ونصف — .

وحَجَّ فيها مرة واحدة سنة ست ومائة ، وكتب له أبو الزِناد[2] سنن الحج ، قال أبو الزناد : « لقيتُ هشاما ، فإنى لفى الموكب إذ لقيه سعيد ابن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفَّان ، فسار إلى جنبه ، فسمعتُه يقول له : يا أمير المؤمنين ، [3]إن الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين[3] ، وينصر خليفته المظلوم ، ولم يزالوا يلعنون فى هذه المواطن أبا تراب ، فإنها مواطن صالحة ، وأمير المؤمنين ينبغى له أن يلعنه فيها ؛ فشقَّ على هشام قولُه ، وقال : ما قدمنا لشتم[4] أحد ولا للعنه ، قدمنا حجاجاً ؛ ثم قطع كلامه ، وأقبل علىّ فسألنى عن الحج ، فأخبرته بما كتبتُ له » ، قال : « وشقَّ على سعيد أنى سمعتُه تكلم بذلك ، فكان منكسراً كلما رآنى » .

وكلَّم إبراهيم بن محمد بن طلحة هشاما وهو فى الحِجْر بمكة ، فقال له : « أسألك بالله وبحرمة هذا البيت الذى خرجتَ معظماً له إلا رددتَ علىَّ ظلامتى ؟ » ؛ قال : « أى ظلامة ؟ » ، قال : « دارى » ، قال : « فأين

---

(١) فى الأصل : « وعشرون » .

(٢) هو عبد الله بن ذكوان القرشى ، من كبار المحدثين . ولد سنة ٦٥ هـ ، وتوفى سنة ١٣١ هـ . انظر : (الزركلى : الأعلام) .

(٣) ما بين الرقمين ساقط من (ب) ، والمقريزى ينقل هنا عن : (الطبرى ، ج ٨ ، ص ١٨٦) مع تعديل خفيف .

(٤) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

كنتَ عن أمير المؤمنين عبد الملك ؟ » ، قال : « ظلمنى » ، قال : فالوليد وسليمان ؟ » ، قال : « ظلمانى » ، قال : « فعمر[(١)] ؟ » ، قال : « يرحمه الله ، ردَّها علىَّ » ، قال : « فيزيد بن عبد الملك ؟ » ، قال : « ظلمنى وقبضها منى بعد قبضى لها ، وهى فى يدك » ، قال هشام : « لو كان فيك ضرب لضربتك » ، فقال : « فىّ والله ضرب بالسيف والسوْط » ؛ فانصرف هشام ، وقال لمن معه : « كيف سمعت هذا اللسان ؟ » ، قال : « ما أجوده ! » ، قال : « هى قريش وألسنتها ، ولا يزال فى الناس بقايا ما رأيت مثل هذا » .

ولم يحج بعد هشام أحدٌ من بنى أمية وهو خليفة ، [والله المعين الهادى إلى طريق الرشاد][(٢)] .

ثم كانت دولة بنى العباس .

وأول من حجَّ منهم وهو خليفة :

أبو جعفر المنصور

واسمه : عبد الله بن محمد بن على بن [عبد الله][(٣)] بن عباس بن عبد المطلب ، أمير المؤمنين العباسى الهاشمى (٧٠ ب) بويع له بعد موت

---

(١) يقصد عمر بن عبد العزيز .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ب ، ١١٠ ا) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ل) .

أخيه أبي العباس السفاح عبد الله — وهو بطريق مكة — سنة ست وثلاثين ومائة ، فقدم[1] الكوفة .

ثم حجّ فى سنة أربعين ومائه ، فأحرم من الحيرة ، ولما قضى حجه توجه إلى بيت المقدس ، وسار منها إلى الرقّة ، ومضى إلى [هاشمية][2] الكوفة .

وحجّ ثانياً سنة أربع وأربعين ومائة[3] ؛ فلما حَجّ بالناس ورجع لم يدخل المدينة ، ومضى إلى الرَّبَذَة ، وأحضر بنى حسن بن على إليه فى القيود والأغلال ، فسار بهم إلى الكوفة ، وعتى عتواً كبيراً فى ظلمهم[4] .

ثم حَجّ بالناس فى سنة سبع وأربعين ومائة .

وحَجّ رابعاً فى سنة ثمان وأربعين ومائة .

وحَجّ خامساً سنة اثنين وخمسين .

وسار فى سنة أربع وخمسين إلى الشام و بيت المقدس .

ثم سار فى سنة ثمان وخمسين ومائة من بغداد إلى الكوفة[5] .

---

(١) فى الأصل : « متقدم » ، وما هنا صيغة (ل) و (ب) .

(٢) زيد ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٨) .

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٤) انظر تفصيل ما فعله المنصور ببنى الحسن تلك السنة فى : (المرجع السابق ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩) .

(٥) (ب) و (ل) : « مكة » ، واللفظان صحيحان لأن المنصور اتجه — وهو فى طريقه إلى مكة حاجا — إلى الكوفة . انظر : (الطبرى ، ج ٩ ، ص ٢٩٢) و (ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٨) .

ليحج ؛ واستخلف ابنه المهدى ، ووصّاه وصيّةً[١] بليغة جدا ، لولا[٢] طولها لذكرتها ، وودّعه و بكى ، وأعلمه أنه ميت فى سفره هذا ، [ثم سار إلى الكوفة ، وجمع بين الحج والعمرة ، وساق الهدى وأشعره][٣] وقلّده لأيام [خلت] من ذى القعدة ، فعرض له — وهو سائر — وجع اشتد به حتى مات فى بئر ميمون خارج مكة لست خلوْن من ذى الحجة ؛ فكتم الربيع الحاجب موته حتى بايع المهدى . فكانت خلافة أبى جعفر اثنين وعشرين سنة تنقص أياما قد اختلف فى عدتها .

واتفق أنه لما نزل آخر منزل بطريق مكة نظر فى صدر البيت فإذا فيه بعد البسملة :

أبا جعفر : حانت وفاتُك وانقضت ... سنوك ، وأمر الله لا بُدَّ واقعُ

أبا جعفر : هل كاهنٌ أو منجمٌ ... لكَ اليوم من حَرِّ[٤] المنيّةِ مانعُ ؟

فأحضر متولى المنازل ، وقال له : « ألم آمرك أن لا يدخل المنازل أحد من الناس[٥] ؟ » ، — وكانت الخلفاء يُبنى لهم فى كل منزلة ينزلونها بطريق

---

(١) انظر نص الوصية فى : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٧ — ٨) و (الطبرى ، ج ٩ ، ص ٣٢٠ — ٣٢١) .

(٢) فى الأصل : « لو » ، والتصحيح عن (ب ، ١١٠ ا) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادات عن (ب ، ١١٠ ب) و (ابن الأثير ، نفس الجزء والصفحة) .

(٤) فى الأصل ، وفى (ب) : « حد » ، وما هنا صيغة (الطبرى ، ج ٩ ، ص ٣٢١) و (ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ٩) .

(٥) فى الطبرى : « الدّعار » ، وما هنا يتفق ونص ابن الأثير .

مكة دارٌ ، وُبُعِدّ لهم فيها سائر ما يُحتاج إليه من الستور والفرش والأوانى وغير ذلك — ، فقال : « والله ما دخله [أحد[١] منذ فرغ » ، فقال : «اقرأ ما فى صدر البيت» ، فقال : «ما أرى شيئاً » ؛ فأحضر غيره ، فلم يَرَ شيئاً[٢] ، فقال : « يا ربيع ، قف بينى و بين الحائط » ، فقام الربيع بينه و بين الجدار ، فرأى البيتين كما كان يراهما قبل وقوف الربيع ، فعلم أنه قد نُعيت إليه نفسه ؛ فقال : « يا ربيع ، اقرَأ آيةً من كتاب الله » ، فقرأ : «وسيعلم الذين (١٧١) ظلموا أى منقلب ينقلبون » [فأمر به فضُرب][٣] ورحل من المنزل ، وتطيَّر ، فسقط عن دابته فاندق عنقه — وقيل : بل مات من مرضه — ، ودُفن ببئر ميمون .

ومن بديع ما يحكى عنه : أنه لما حجّ وأشرف على المدينة النبوية ترجّل الناس له لما[٤] استقبلوه ، إلا محمد بن عمران — قاضى المدينة — ، فقال المنصور : « يا ربيع ، ماله لا يترجل [لى][٥] ؟ يتجالد علىّ و يمتنع مما فعله بنو عبد المطلب وبنو على ، فلم ينزل إلى الأرض لما بصر بى ؟ » ، فقال الربيع : « يا أمير المؤمنين ، لو رأيتَه على الأرض لرحمته ورثيت له من

---

(١) ما بين الحاصرتين عن (ب) وابن الأثير .

(٢) صيغة (ب) : « فأحضر غيره ، فقال : لم أرَ شيئاً » .

(٣) زيد ما بين الحاصرتين عن (ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٩) وهى زيادة يقتضيها السياق والمعنى .

(٤) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٥) ما بين الحاصرتين عن (ب) و (ل) .

ثقله وعظمه » ؛ فأمره بالدنو منه ، فدنا[1] منه راكباً عند تمهيد الربيع له العذر ، فسأله عن حاله ، ثم قال : « يا ابن عمران ، أيما رجل أنت ؟ لولا خصال فيك ثلاث كنتَ أنت الرجل » ، فقال : « وماهنّ يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « قعودك عن الصلاة فى مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى جماعة ، فتصلى وحدك ؛ والثانية[2] أنك لا تكلم أحداً[3] فى الطريق تيهاً وعظمة ؛ والثالثة[4] أنك رجل بخيل فيك ضيق شديد » .

فقال : « يا أمير المؤمنين : أما الأولى فإنى أكره أن أصلى بصلاة الإمام ، فما يدخل علىّ من فسادها أعظم عندى من تركى إياها لشغل ، وأنى لا أدرك معهم ركوعاً ولا سجوداً ، فأرى أن أصلى وحدى [أفضل][4] ؛ وأما الثانية : « فإنى قاضٍ ، ولا يجوز أن أعطى من نفسى التسليم عليهم والابتذال لنفسى ، فيكون فى ذلك مفسدة للخصوم ، وأما الثالثة : فإنى لا أجمد فى حق ولا أذوب فى باطل » .

قال : « خرجت منهن يا ابن عمران ؟ ! يا ربيع : ادفع إليه ثلاثة آلاف درهم » .

قال : « يا أمير المؤمنين : بالباب مستعدون عليك يذكرون أن فى

---

(١) فى الأصل ، وفى (ب) : « فدنى » .

(٢) فى الأصل : « وثانية ، وثالثة » ، والتصحيح عن (ب) .

(٣) (ب) : « إنسانا » .

(٤) ما بين الحاصرتين عن (ب) و (ل) .

يدك حقاً من دار كذا » ، قال : « فأنصفهم منى » ، قال : « وكِّل وكيلاً يقوم مقامك ، أو احضر معهم مجلس القضـاء » ، قال : « قد وكَّلتُ الربيع » ، قال : « أشهد على وكالتك إياه عيسى بن على ، والعباس ابن محمد » . ففعل ؛ ثم أخرج حدود الدار التى ينازعونه[1] فيها ، ودعا بالربيع وخصمائه ، وأحضر شهادته على الوكالة وأنفذها ، ثم سأل القوم عن دعواهم وشهودهم ، ثم قضى لهم عليه .

واستعدى[2] أيضاً الجمَّالون[3] على المنصور بالمدينة ، فقال القاضى محمد بن عمران للشـبلى : « اكتب إليه فى ذلك » ، فأبى عليه ، وقال : « تعفينى » ، فقال : « لتكتبن » ، فـكتب ، فلما استتم الـكتاب (٧١ب) وختمه ، قال له : « لا يمضى به سواك » ، فمضى ، ووافى[4] إلى باب المنصور ، وسلَّم الـكتاب إلى الربيع ، فأوصله إلى المنصور[4] ، فقرأه .

وعاد الشبلى إلى محمد بن عمران ، فعرّفه أنه سلَّم ما كتب إلى الربيع ، فأوصله ، فقرأه المنصور وأجاب إلى الحضور .

ثم خرج المنصور مؤتزراً ببردة ، مرتدياً بأخرى ، ومشى إلى أن قارب مجلس محمد بن عمران ، ووقعت عينه عليه — والربيع بين يديه — ،

---

(١) فى الأصل : « ينازعون » ، وما هنا عن (ب ، ١١١ ب) .
(٢) الأصل : « واستدعى » والتصحيح عن (ب) .
(٣) (ب) : « الحمالون » .
(٤) ما بين الرقمين ساقط من (ب) .

فقال له : « يا ربيع : نُفيتُ عن العباس ، لئن تحرك محمد بن عمران عن مجلسه هيبةً لى ، لاولِيَ ولاية أبدا » ؛ ثم صار إلى محمد بن عمران ، فلما رأى المنصور وكان متكئاً أطلق ردائه على عاتقه ، ثم احتبى ، ودعى بالخصوم فحكم لهم عليه ، وأمره بإنصافهم .

وانصرف أبو جعفر ، وأمر الربيع بإحضار محمد بن عمران ، فلما دخل عليه قال له : « يا ابن عمران : جزاك الله عن دينك ، وعن نبيك ، وعن هيبتك ، وعن خليفتك أحسن الجزاء » ؛ وأمر له بعشرة آلاف درهم .

المهدى أبو عبد الله محمد

ابن أبي جعفر[١] عبد الله بن محمد[١] المنصور ، أمير المؤمنين ، ولى بعد وفاة أبيه ، بعهده إليه ، فقام فى الخلافة عشر سنين وتسعة[٢] وأربعين يوماً .

وحَجَّ[٣] فى سنة ستين ومائة ، واستخلف ببغداد ابنه موسى ومعه خاله يزيد بن منصور[٣] ؛ وحَجَّ معه ابنه هارون بن محمد فى جماعة من أهله .

---

(١) فى (ب) : « ابن أبى جعفر المنصور » فقط .
(٢) الأصل : « تسعا » ، والتصحيح عن (ب ، ١١١ ب) .
(٣) هذه الجملة ساقطة من (ل) .

فلما قدم مكة نزع الكسوة[١] عن الكعبة عند ما رفع إليه سدنة

---

(١) كان العرب يقدسون الكعبة فى الجاهلية والإسلام ، وكانوا يكسونها فى العصرين ، وكانت تكسى فى الجاهلية الأنطاع ثم كساها النبى الثياب اليمانية ، فلما ولى عمر كساها القباطى — أى القماش المصرى المصنوع بأيدى الأقباط — فقد قال (الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ١٦٨) إن عمر « كسا الكعبة القباطى من بيت المال ، وكان يكتب فيها إلى مصر تحاك له هناك » ، وكذلك فعل عثمان ؛ أما معاوية فقد كساها كسوتين : كسوة عمر القباطى ، وكسوة ديباج ، فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء ، وتكسى القباطى فى آخر شهر رمضان للفطر ؛ ولهذه الفقرة التى أوردها المقريزى هنا أهمية خاصة ، فهى تشير إلى أن الكسوات القديمة لم تكن تنزع عن الكعبة إلى أن كان عهد المهدى فرؤى نزعها والاكتفاء بالكسوة الجديدة خوفا على جدران الكعبة أن تسقط من ثقل ما تحمل ؛ وقد كانت كسوة الكعبة تصنع فى دور الطراز بالمدن المصرية وخاصة تنيس وشطاوتونة ودمياط ، وقد روى (الفاكهى : أخبار مكة) أنه رأى بعض هذه الكسوات وعليها نصوص تفيد أنها صنعت بهذه الدور ومنها ما صنع فى عهد المهدى بالذات ؛ قال : « رأيت كسوة مما يلى الركن الغربى مكتوبا عليها : مما أمر به السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى بأمر الفضل ابن سهل ذى الرياستين وطاهر بن الحسين سنة سبع وتسعين ومائة » ؛ وقال : « ورأيت كسوة من قباطى مصر مكتوباً عليها : بسم الله ، من بركة الله ، مما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين — أصلحه الله — محمد بن سليمان أن يصنع فى طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمة عامله سنة ١٥٩ » ، وقال : « ورأيت كسوة من كسا المهدى مكتوباً عليها : بسم الله ، بركة من الله ، لعبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — مما أمر به إسماعيل بن إبراهيم أن يصنع فى طراز تنيس على يد الحكم بن عبيدة سنة ١٦٢ » ؛ وقال : « ورأيت أيضاً كسوة لهرون الرشيد من قباطى مصر مكتوباً عليها : باسم الله ، بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون أمير المؤمنين — أكرمه الله — مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل فى طراز تونة سنة ١٩٠ » وقال : « ورأيت فيها كسوة من كسا أمير المؤمنين هرون الرشيد من قباطى مصر ، مكتوبا عليها : بسم الله ، بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — مما أمر به الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعته فى طراز =

البيت أنهم يخافون على الكعبة أن تنهدم لكثرة ما عليها من الكسوة [فوجد كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين ، وكانت الكسوة لا تُنزع من الكعبة[١] فى كل سنة كما هو العمل الآن ، بل تلبس كل سنة كسوة فوق تلك الكسوة][٢] ، فلما تكاثر العهد وكثر ذلك خافت السَّدَنَةُ على الأركان أن تنهدم لثقل ما صار عليها من الكسوة . وكانت كسوة الكعبة تُعمل من الديباج المذهب[٣] .

وأنفق المهدى فى هذه الحجة مالاً عظيما قدم به معه من العراق ، يبلغ ثلاثين ألف ألف درهم ، سوى ماوصل إليه من مصر ، [وهو مبلغ][٤] ثلاثمائة ألف دينار عيناً ، ومن اليمن[٥] مبلغ مائتى ألف دينار عيناً ،

= شطا كسوة الكعبة سنة إحدى وتسعين ومائة » ، وقال : « ورأيت شقة من قباطى مصر فى وسطها (أى وسط الكعبة) إلا أنهم كتبوا فى أركان البيت بخط دقيق : مما أمر به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين » . انظر : (المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٦٥) و (محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ، ص ١٦ ، ٥٢ — ٥٣ ، ٦١) وعن تاريخ الكسوة وصناعتها فى مصر أو غيرها فى مختلف العصور إلى الوقت الحاضر انظر : (الأزرقى ، أخبار مكة ، ج ١ ، ص ١٦٩ — ١٧٧) .

(١) فى الأصل : « الكسوة » ، والتصحيح يقتضيه المعنى .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادات عن (ب ، ١١٢ ا) و (ل) .

(٣) (ل) : « الثخين » .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ب ، ١١٢ ا) وانظر : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠) .

(٥) (ب) : « الشام » وما هنا هو الصحيح . انظر المرجع السابق .

فرّق(١) ذلك كله ، ومعه مائة ألف وخمسون ألف ثوب .

ووسّع مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وأخذ خمسمائة من الأنصار جعلهم حرسًا [له](٢) ، وأقطعهم بالعراق الإقطاعات ، وأجرى عليهم الأرزاق(٣) .

وحمل محمد بن سليمان الثلج إلى مكة ، وهو أول خليفة حُمل إليه الثلج إلى مكة .

وأمر ببناء القصور بطريق مكة أوسع من القصور التى بناها (١٧٢) السفّاح ، وأمر باتخاذ المصانع(٤) فى كل منها ، وتجديد(٥) الأميال وحفر الرّكايا(٦) .

وبعث ابنه [موسى](٧) الهادى فحجّ بالناس سنة إحدى وستين .

وأمر فى سنة ست وستين ومائة بإقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن — بغالاً وإبلاً — ؛ ولم يكن هناك بريد قبل ذلك(٨) .

---

(١) (ب) : « فوق » .

(٢) زيادة عن (ب) وابن الأثير .

(٣) الأصل : « الرزق » ، وما هنا عن (ب) و (ل) وابن الأثير .

(٤) المصنعة مكان كالحوض يجمع فيه ماء المطر ، والجمع مصانع . (القاموس) .

(٥) (ب) : « وتحديد » .

(٦) الركيّةُ البئر تُحفر ، والجمع : رَكِىٌّ ورَكايا . (اللسان) .

(٧) زيادة عن (ب) .

(٨) راجع : (الطبرى ، ج ٩ ، ص ٨) و (نظير حسان سعداوى : نظام البريد فى الدولة الإسلامية ، ص ٥٨) و السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨١) .

وحكى محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب [رضى الله عنه][1] ، قال : « رأيت فيما يرى النائم — فى آخر سلطان بنى أمية — كأنى دخلتُ مسجدَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فرفعت رأسى ، فرأيت الكتاب الذى [فى المسجد][2] بالفسيفساء ، فإذا فيه : مما أمر به أمير المؤمنين الوليد[3] بن عبدالملك ؛ و إذا قائل يقول : يُمحى [هذا][2] الكتابُ ويُكتب مكانه اسم رجل من بنى هاشم يقال له محمد ، قلت : فأنا [من بنى هاشم واسمى][2] محمد . فابن من ؟ قال : ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال : ابن محمد ، قلت : فأنا ابن محمد[4] ، فابن من ؟ قال : ابن على ، قلت : فأنا ابن على ، فابن من ؟ قال : ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال : ابن عباس ، فلو لم يبلغ العباسَ ما شككتُ أنى صاحب الأمر » .

فتحدثتُ [بها][5] ذلك الزمان ، ونحن لا نعرف المهدى ، حتى ولى المهدى ، فدخل مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فرأى اسم

---

(١) زيادة عن (ب) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة (ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٤) حيث وردت هذه القصة .

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٤) فى الأصل : « فأنا ابن محمد بن عبد الله » ، والتصحيح عن (ب) وابن الأثير .

(٥) الاصل : « فتحدث ذلك » والتصحيح عن ابن الأثير .

الوليد، فقال : « أرى اسم الوليد إلى اليوم ؟» فدعا بكرسى[١] فألقى فى صحن المسجد ، وقال : « ما أنا ببارحٍ حتى يُمحى ويُكتب اسمى مكانه » ؛ ففعل ذلك — وهو جالس — .

وطاف بالبيت مرة ليلاً ، فسمع أعرابية تقول : « قومى مُقَتَّرون ، ونَبَت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضَّتهم السنون ، فبادت رجالهم ، وذهبت أموالهم ، وكثرت عيالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصية الله ، ووصية الرسول ، فهل من آمرٍ لى بخير[٢] كلأه الله فى نفسه ، وخلفه فى أهله » ؛ فأمر لها بخمسمائة درهم .

هارون الرشيد

ابن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور[٣] عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس — رضى الله عنهم — .

بويع بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادى فى ليلة الجمعة النصف من ربيع الأول — وقيـــل لأربع عشرة خلت منه — سنة سبعين

---

(١) فى (ب ، ١١٢ ب) : « بكر » وما هنا هو الصحيح ويتفق ونص (ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ٣٥) .

(٢) الأصل و (ب) : « بجبر » والتصحيح عن ابن الأثير .

(٣) فى الأصل و (ل) : « المنصور بن عبد الله » وقد صحح الاسم بعد مراجعة : (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٨) .

[ومائة] (١) ، فأقام فى الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً ، يغزو سنة ويحج سنة ، فحج تسع حجج ؛ ولم (٧٢ ب) يحج بعده خليفة من بغداد (٢) .

فأول ما حج وهو خليفة سنة سبعين وقسَّم فى أهل الحرمين عطاء كثيراً ؛ وقيل إنه غزا أيضاً فيها بنفسه .

وحَجَّ ثانياً فى سنة ثلاث وسبعين ، وأحرم من بغداد .

وحَجَّ بالناس سنة أربع وسبعين ، وقسَّم فى الناس مالاً (٣) كثيراً .

ثم حَجَّ فى سنة سبع وسبعين (٤) ؛ وخرج عليه الوليد بن طريف (٥) الشارى — أحد الخوارج من بنى تغلب — بنصيبين ، وأخذ أرمينية ، وحصر خِلاط ، وعاث فى بلاد الجزيرة ، فسيَّر إليه الرشيدُ يزيدَ بن مزيد

---

(١) زيادة عن (ب) و (ل) والسيوطى .

(٢) هذه ملاحظة لها أهميتها ، فقد شغل خلفاء العباسيين — بعد الرشيد — بما أصاب الدولة من ضعف وانقسامات فلم يحج واحد منهم ؛ وسيشير المقريزى هنا فيما يلى الى أنه لم يحج من خلفاء العباسيين بالقاهرة سوى خليفة واحد هو الحاكم بأمر الله العباسى ثانى الخلفاء العباسيين بمصر .

(٣) الذى ذكره (الطبرى ، ج ١٠ ، ص ٥٣) أن هارون الرشـيد حج فى هذه السنة ، فبدأ بالمدينة فقسم فى أهلها مالا عظيما ، ووقع الوباء فى هذه السنة ، فأبطأ عن دخولها هارون ، ثم دخلها يوم التروية ، فقضى طوافه وسعيه ، ولم ينزل بمكة .

(٤) ذكر (الطبرى ، ج ١٠ ، ص ٥٤) أن الرشيد حج بالناس أيضا فى سنة ١٧٥ هـ .

(٥) ذكر (الطبرى ، ج ١٠ ، ص ٦٢) و (ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ٥٧) أن خروج الوليد بن طريف كان فى سنة ١٧٨ .

ابن زائدة الشيبانى — وهو ابن أخى معن بن زائدة — على العسكر ، فلم يزل يحاربه حتى قتله ؛ وفيه تقول أخته ليلى بنت طريف ترثيه بالأبيات المشهورة[1] التى منها قولها :

فياشَجَرَ الخابور مَالَكَ مُورِقاً كأنَّكَ لم تجزعْ على ابن طَرِيفِ

الأبيات .

فاعتمر الرشيدُ فى شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة . وشكر الله[2] تعالى على قتل الوليد ، وعاد إلى المدينة فأقام بها إلى وقت الحج ، فحج بالناس ، ومشى من مكة إلى منى إلى عرفات ، وشهد المشاعر كلها [ماشيا][3] ، ورجع على طريق البصرة ؛ ولا يعرف من ملوك الدنيا مَلِكٌ حج ماشيا سوى ملكين : هرقل بن هرقل بن انتونيس — من أهل صلوقيا — حجَّ من حمص إلى إيليا — التى هى بيت المقدس — ماشياً ، ووافاه كتابُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى سفرته هذه يدعوه إلى الإسلام — كما وقع فى الصحيحين وغيرهما — ؛ والملك الثانى هارون الرشيد .

---

(١) (ب) : « بأبيات مشهورة » ؛ وتجد الأبيات كاملة فى (ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٥٨) .

(٢) (ب) و (ل) : « شكراً لله » .

(٣) زيادة عن (ل) .

وذكر محمد بن حزم فى كتاب « جمهرة الأنساب[١] » أن موسى الهادى بن محمد المهدى كان له أم ولد تسمى « أَمَةَ العزيز » ، تزوجها أخوه هارون من بعده ، وهى التى كان[٢] حلف الرشيد لأخيه بالمشى إلى الكعبة أن لا يتزوجها ؛ فلما مات الهادى تزوجها ، ومشى راجلا من بغداد إلى مكة — وهو خليفة — فولدت له عليا ، وكان أقبح الناس صورة[٣] .

ولما دخل الرشيد مكة[٤] وهو خليفة[٤] كان يُطرحُ له الرملُ حول البيت ومقدار عرضه ذراعان[٥] ، ويُرَشُّ بالماء ؛ ويقوم الحرس بينه و بين الناس ، وكان يطوف بين المغرب والعشاء ثلاثة عشر أسبوعا ، ولا يُطيق (٧٣ ا) ذلك أحد ممن كان معه ، وكان إذا سعى شَمَّر إزاره وجعل له ذنبين ، فكان يفتن[٦] من يراه .

وكذلك حَجَّتْ زبيدة أم جعفر [بنت جعفر بن أبى جعفر][٧]

---

(١) نشر هذا الكتاب أخيراً الأستاذ بروفنسال باسم « جمهرة أنساب العرب » ، وفى ص ٢٠ منه أن الهادى أنجب من أمة العزيز هذه ثلاثة أولاد ، هم : إسماعيل ، وعبدالله وموسى الأعمى ، ثم روى خبر زواج الرشيد منها بعد وفاة أخيه كما نقله المقريزى هنا .

(٢) (ب) : « كانت » .

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٤) هذان اللفظان ساقطان من (ل) .

(٥) الأصل و (ل) : « ذراعين » .

(٦) (ب) : « يعين » و (ل) : « يفتن كل من رآه » .

(٧) زيادات عن (ب ، ١١٣ ب) و (ل) وراجع أيضاً (ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٨٦) .

— زوج هارون الرشيد — ماشية أيضاً ، وكانت حجة عظيمة ، غير أن ذكرها ليس من شرط هذا الجزء ، فلذلك تركت ذكرها .

وحَجَّ الرشيد أيضا بالناس فى سنة إحدى وثمانين ومائة .

وحَجَّ فى سنة ست وثمانين ومائة من الأنبار ، ومعه ابناه عبد الله المأمون ومحمد الأمين ، فبدأ بالمدينة فأعطى فيها ثلاث أعطيات[١] ، أعطى هو عطاء ، وكلٌّ من ولديْه عطاءً ، وسار إلى مكة فأعطى أهلها ألفَ ألفَ دينار وخمسين ألف دينار ؛ وكان قد ولىَّ الأمين العراق والشام إلى آخر المغرب ، وجعله ولىَّ عهده ؛ وضَمَّ إلى المأمون من همذان إلى آخر المشرق ، وعهد إليه بعد الأمين ؛ ثم بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون ، ولقبَّه المؤتمن ، وضَمَّ إليه الجزيرة والثغور والعواصم ؛ فجمع بمكة القضاة والفقهاء ، وكتب كتاباً أشهدهم فيه [على الأمين بالوفاء للمأمون وكتب كتاباً أشهدهم فيه][٢] على المأمون بالوفاء للأمين ، وعلق الكتابين بالكعبة ؛ وقد ذكرت خبر ذلك مبسوطاً فى ترجمة المأمون من « تاريخ مصر الكبير المقفا »[٣] ، فإنه قدم مصر فى سنة سبع عشرة ومائتين ؛ وفى عَوْدِ الرشيد من هذه الحجة

---

(١) الأصل : « أعطاها » ، وما هنا صيغة (ب) وابن الأثير .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين عن (ل) ، ص ١٤٥ ، راجع أيضاً : (ابن الأثير الكامل ، ج ٦ ، ص ٦٩) .

(٣) هذه هى المرة الثانية التى يشير فيها المقريزى هنا إلى كتابه الكبير «المقفى» انظر ما سبق هنا ، ص ٢٨ .

نكب البرامكة النكبة المشهورة بالأنبار سلخ المحرم سنة سبع وثمانين ومائة .

ثم حَجَّ الرشيد سنة ثمان وثمانين راجلاً ، وقَسَّمَ أموالا كثيرة ؛ وهى آخر حجة حَجَّها .

وكان إذا حَجَّ حَجَّ معه مائةٌ من الفقهاء وأبنائهم[1] ، فإذا لم يحج أَحَجَّ ثلاثمائة رجـل بالنفقة السابغة[2] والـكسوة الطاهرة الفاخرة[1] ؛ ولم يُرَ خليفةٌ قبله أكثَرَ عطاء منه ؛ وقيل[3] لوقيل للدنيا : متى أيام شبابك ؛ لقالت : أيام هاورن الرشيد .

ومن فضائل [الرشيد][4] ما أخرجه الحافظ أبو نعيم فى « كتاب الحلية » : « ثنا سليمان بن أحمد — يعنى الطبرانى — ، نا محمد بن زكريا الغلابى ، نا أبو عمر الحرمى[5] النحوى ، نا الفضل بن الربيع ، قال : حَجَّ أمير المؤمنين — يعنى هارون الرشيد — فأتانى ، فخرجتُ مسرعاً ، فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلتَ إلىَّ أتيتُك ، فقال : ويحك ، قد حاك[6] فى نفسى شىء ، فانظر لى رجلا أسأله ، فقلت : ههنا سفيان بن عُيَيْنَة ؛

---

(١) هذا اللفظ ساقط من (ب) و (ل) .

(٢) كذا فى الأصل و (ابن الأثير ، ج ٦ ، س ٨٧) ، وفى (ب) : « السابقة »

(٣) (ب) و (ل) : « يقال » .

(٤) زيادة عن (ب) .

(٥) الأصل و (ب) : « الجزمى » والتصحيح عن (أبو نعيم : الحلية ، ج ٨ ، ص ١٠٥) .

(٦) (ب) : « جال » وما هنا يتفق ونص أبى نعيم .

فقال : امض بنا إليه ، (٧٣ ب) فأتيْناه ، فقرعتُ البابَ ؛ فقال : مَنْ ذا ؟ قلتُ : أَجِبْ أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلتَ إلىَّ أتيتُك ؛ فقال له : خذ لما جئناك له — رحمك الله — . فحدَّثه ساعةً ، ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم ، قال : أبا عباس ، اقضِ دينه .

فلما خرجنا ، قال : ما أغنى عنى صاحبُك . انظر لى رجلا أسأله ؛ قلت : ههنا عبد الرزاق بن همام[1] ، قال : امض بنا إليه ؛ فأتيناه ، فقرعتُ الباب ، فقال : من هـذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلتَ إلىَّ أتيتك ، فقال : خذ لما جئناك له[2] فحادثه ساعة ، ثم قال له : عليك دَيْنٌ ؟ قال : نعم ، قال : أبا العباس ، اقضِ دينَه .

فلما خرجنا ، قال : ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ، انظر لى[3] رجلا أسأله ، قلت : ههنا الفُضَيْلُ بن عياض[4] ؛ قال : امض بنا إليه ، فأتيناه ، فإذا هو قائم يصلى ، يتلو آية من القرآن يرددها ، فقال : اقرع الباب ، فقرعتُ الباب ؛ فقال : من هذا ؟ قلتُ : أجب أمير المؤمنين ، قال : مالى

(١) كذا فى الأصل والحلية ، وفى (ب) : « هشام » .

(٢) الأصل : « فيه » وما هنا عن (ب) و (الحلية) .

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٤) انظر أخباره وأقواله فى : (أبو نعيم : حلية الأولياء ، ج ٨ : ص ٨٤ — ١٣٩ .

ولأمير المؤمنين ؛ فقلت : سبحان الله ! أما عليك طاعة ؟ أليس قد رُوى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « ليس للمؤمن أن يذلَّ نفسه[١] » ؛ فنزل ففتح الباب ، ثم ارتقى [إلى][٢] الغرفة ، فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا ، فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كفُّ هارون قبلى إليه ، فقال : يالها من كف ! ما ألينها إن نجتْ غداً من عذاب الله عز وجل[٣] ؛ فقلتُ فى نفسى : ليكلمنَّه الليلة بكلام من قلب تقى ؛ فقال له : خذ لما جئناك له — رحمك الله — ؛ فقال :

إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا[٤] سالمَ بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظى ، ورجاء بن حَيْوَة ، فقال لهم : إنى قد ابتليتُ بهذا البلاء فأشيروا علىّ ، فعَدَّ الخلافةَ بلاء ، وعددتَها أنت وأصحابُك نعمةً ؛ فقال له سالم بن عبد الله ، [إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا ، وليكن إفطارك منها الموت ؛ وقال له محمد بن كعب][٥] : إن أردتَ النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم عندك أخاً ، وأصغرهم عندك ولداً ، فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك ؛ وقال

---

(١) صيغة (الحلية ج ٨ ، ص ٦ .) : « ليس للمؤمن بذل نفسه » .
(٢) ما بين الحاصرتين عن (الحلية) .
(٣) الأصل : « تعالى » وما هنا صيغة (ب) و (ل) و (الحلية) .
(٤) الأصل : « دعى » .
(٥) هذه الفقرة ساقطة من الأصل ومن (ب) ، وموجودة فى (ل) و (الحلية ، ج ٨ ، ص ١٠٦) .

له رجاء بن حَيْوَه : إن أردتَ النجاة من عذاب الله تعالى فأحبَّ للمسلمين ما تحبُّ لنفسك ، واكره (١ لهم ما تكره لنفسك ١) ، ثم مت إذا شئت ، وإنى أقول لك بأنى أخاف عليك أشد الخوف يوم تَزِلُّ فيه الأقدام ، فهل معك — رحمك الله — مثل هذا ، أو من (٢) يشير (١٧٤) عليك بمثل هذا ؟

فبكى هارون بكاء شديداً حتى غُشِى عليه ؛ فقلت (٣) له : ارفق بأمير المؤمنين . قال : يا ابن الربيع (٤) ، تقتله أنت وأصحابك ، وأرفق به أنا (٥) ؟

ثم أفاق [هارون] فقال له : زدنى — رحمك (٦) الله — ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه ، فكتب إليه عمر : « يا ابن أخى (٧) ، اذكرك (٨) طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله إلى عذاب الله ، فيكون

---

(١) ما بين الرقمين ساقط من (ب) .
(٢) فى الأصل : « ومن » ، وما هنا صيغة (ل) و (ب) و (الحلية) .
(٣) (ب) : « فقال له » والأصل : « فقلت » وما هنا عن (الحلية) .
(٤) الأصل : و (ل) « يا ابن أم الربيع » والتصحيح عن (الحلية) .
(٥) (ب) : « وارفق بنا » وما هنا صيغة الأصل و (الحلية) .
(٦) الأصل : « يرحمك » وما هنا صيغة (ب) و (الحلية) .
(٧) صيغة (الحلية) : « يا أخى » .
(٨) الأصل : « اذكر » وما هنا صيغة (ب) و (الحلية) .

آخر العهد وانقطاع الرجاء » ؛ فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فقال له : ما أقدمك ؟ فقال : خلعتَ قلبي بكتابك ، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله .

فبكى هارون بكاءً شديداً ، ثم قال له : زدني — رحمك[1] الله — ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن العباس — عم المصطفى صلى الله عليه وسلم — قال : « يا رسول الله ، أمِّرني على إمارة » ، فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم — : « إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل » .

فبكى هارون بكاءً شديداً ، وقال : زدني — رحمك[1] الله — ؛ قال : يا حسنَ الوجه ، أنت الذي يسألك الله — عز وجل — عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار ، فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك ، فإن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : « من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة » .

فبكى هارون ، وقال له : عليك دين ؟ قال : نعم ، دَيْنٌ لربي لم يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألني[2] ، [والويل لي إن ناقشني][3] ، والويل لي إن لم أُلهم حجتي ، قال : إنما أعني دينَ العباد ؛ قال : إن ربي — عزَّ

(١) الأصل : « يرحمك الله » وما هنا صيغة (ل) و (ب) والحلية ، ج ٨ ، ص ١٠٧) .

(٢) الأصل و (ب) : « سايلني » والتصحيح عن (ل) و (الحلية) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (الحلية ، ج ، ٨ ، ص ١٠٧) .

وجلّ — لم يأمرني بهذا ، وإنما أمرني أن أصدق [وعده][1] وأطيع أمره ، فقال : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ » ؛ فقال له : هذه ألف[2] دينار خذها فأنفقها على عيالك[3] ، وتقوَّ بها على عبادتك ؛ فقال : سبحان الله ، أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلّمك الله ووفّقك .

ثم صمتَ فلم يكلمنا ؛ فخرجنا[4] من عنده ؛ فلما صرنا على الباب قال هارون : أبا عباس ، إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا ، هذا سيّدُ المسلمين .

فدخلتْ عليه (٧٤ ب) إمرأة من نسائه فقالت : « يا هذا ، قد ترى ما نحن فيه من ضيق ، فلو قبلتَ هذا المال فتفرجنا به ؟ » فقال لها : « مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه ، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه » ؛ فلما سمع هارون الرشيد هذا الكلام قال : « ندخل فعسى أن يقبل المال » ، [فلما][5] علم الفضَيْل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه ، فجعل يكلمه فلا يجيبه ، فبينما نحن كذلك إذ

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن : (الحلية ، ج ٨ ، ص ١٠٧) .
(٢) الأصل : « الألف » وما هنا صيغة (ل) و (ب) و (الحلية) .
(٣) الأصل : « حالك » وما هنا صيغة (ب) و (الحلية) .
(٤) الأصل : « فخرج » ، وما هنا صيغة (ب) و (الحلبة) .
(٥) مكان هذا اللفظ بياض بالأصل ، والتكملة عن (ب) و (الحلبة) .

خرجت جاريةٌ سوداء فقالت : « يا هذا ، قد آذيت الشيخ منذ الليلة ، فانصرف رحمك الله » ؛ فانصرفنا .

نا إبراهيم بن عبد الله ، ثنا محمد بن إسحق [قال][1] : حدثنى إسماعيل ابن عبد الله أبو النضر ، نا يحى بن يوسف الزَمّى ، عن الفضيل بن عياض — رحمه الله — قال : « لما دخل [علىّ][2] هارون أمير المؤمنين ، قال : أيكم هو ؟ فأشاروا[3] إلى أمير المؤمنين ؛ فقال : أنت [هو][4] يا حسنَ الوجه لقد كُلِّفْتَ[5] أمراً عظيما ، إنى ما رأيت أحداً أحسن وجهاً منك ، فإن قدرت أن لا تسوِّد هذا الوجه بلفحة[6] من النار فافعل ؛ فقال لى عظنى ، فقلت : ما ذا أعظك ؟ هذا كتاب الله تعالى بين الدفتين ، انظر ماذا عمل بمن أطاعه ، وماذا[7] عمل بمن عصاه ؛ وقال : إنى رأيت الناس يُعرَضون على النار عرضا[8] شديداً ، و يطلبونها طلبا حثيثا ؛ أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها ؛ فقال . عد إلىّ ، فقال : لو لم تبعث إلىّ لم آتك ؛ وإن انتفعتَ بما سمعتَ منى عدتُ إليك .

---

(١) ما بين الحاصرتين عن (الحلية ، ج ٨ ص ١٠٥) .
(٢) زيادة عن (ب) و (الحلية) .
(٣) (ب) : « فأشار » وما هنا صيغة الأصل و (الحلية) .
(٤) زيادة عن (ب) و (الحلية) .
(٥) كذا فى الأصل و (ب) ، وفى (الحلية ، ج ٨ ، ص ١٠٥) : « وليت » .
(٦) الأصل و (ب) : « بانفحه » والتصحيح عن (ل) و (الحلية) .
(٧) الأصل : « وما عمل » ، وما هنا صيغة (ل) و (ب) (والحلية) .
(٨) فى (الحلية) : « يغوصون على النار غوصا شديدا » .

الحاكم بأمر الله

أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن أبى بكر

ابن على القُبِّي[1] بن الحسن الخليفة الراشد بالله[2]

على خلاف [فى[3]] نسبه ،

ثانى خلفاء بنى العباس بمصر

خرج من بغداد فى واقعة هولاكو ، وجمع طائفة من الناس ، ولقى الإمام المستنصر بالله[4] أبا العباس أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد بن الخليفة الناصر لدين الله العباسى — المجهز من ديار مصر لقتال الططر[5]

---

(١) هكذا ضبطها (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٧) والنسبة إلى قُبّ بطن من مراد . (ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الأنساب ، ج ٢ ، ص ٢٤٢) .

(٢) شجرة النسب لهذا الخليفة مختلف فيها ، لا يكاد يتفق مرجع مع المرجع الآخر عند إيرادها والمشهور عند نسابة مصر أنه أحمد بن الحسين بن أبى بكر بن الأمير أبى على القبى بن الأمير حسن بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر . انظر : (السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٧ — ٣٢١) و (المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٧٧ و ٤٧٩) و (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١١٨ ، هامش ٢) و (زامباور : معجم الأنساب ، الترجمة العربية ، ج ١ ، ص ٤) .

(٣) زيادة عن (ب) .

(٤) ترجمته فى : (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٦ — ٣١٧) .

وصار فى جملته ؛ فلما قُتِل المستنصر فى وقائع الططر[١] قدم إلى القاهرة فى سابع عشرين ربيع الأول سنة ستين وستمائة ، فبايعه الملك الظاهر ركن الدين[٢] بيبرس البندقدارى فى يوم الخميس ثامن المحرم سنة إحدى وستين وستمائة ، فلم يزل خليفة لا أمر له[٣] (١٧٥) ولا نهى ولا نفوذ كلمة حتى مات بمناظر الكبش[٤] — خارج القاهرة — ليلة الجمعة ثامن عشر جماد الأول سنة إحدى وسبعمائة ، فكانت خلافته أربعين سنة ، وهو أول

---

(١) (ب) : « التتر » .

(٢) الأصل : « الدولة » والصحيح عن (ل) .

(٣) راجع : (محمد مصطفى زيادة : بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك فى مصر ، مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، سنة ١٩٣٨ ، ص ٧٨ — ٨١) .

(٤) بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة قصوراً أو مناظر على الجزء الشمالى الغربى من جبل يشكر غربى جامع ابن طولون ، وكانت هذه القصور أو المناظر تشرف على جميع أحياء القاهرة والفسطاط وعلى النيل وجزيرة الروضة وقلعتها — التى بناها أيضاً الصالح نجم الدين . ؛ وقد عرفت بالكبش لوقوعها فوق هذا الجبل ، وقد اتخذت هذه المناظر سكنا للخلفاء العباسيين فى مصر بعد انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة فى أوائل العصر المملوكى ، وظلت المناظر قائمة إلى أن هدمها الملك الأشرف شعبان بن حسين فى سنة ٧٦٨ هـ . فكسر الناس الكبش وبنوا فيه المساكن ، ولا زالت هذه المنطقه تعرف حتى اليوم بقلعة الكبش ، وتشرف من بحريها على شارع مراسينا ، ومن غربيها على خط البغالة بقسم السيدة زينب بالقاهرة . راجع (خطط المقريزى) وتحقيقات المرحوم محمد رمزى فى (النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ٧٢ ، هامش ٢ ؛ ص ١١٩ ، هامش ٢) .

خليفة عباسى مات بمصر ، واستمرت الخلافة فى عقبه إلى اليوم[١] .

وحجَّ فى سنة سبع[٢] وتسعين وستمائة ، والسلطان يومئذ الملك المنصور لاچين ، أعطاه مبلغ سبعمائة ألف درهم فضة ؛ ولما قدم مكة أراد [من] الشريف أبى نُمَىّ[٣] — أمير مكة — أن يدعو له على منبر مكة ، فامتنع من ذلك ، وجرت بينهما مفاوضة ترفَّع فيها عليه أبو نُمَىّ تفاخراً[٤] بنسبه الشريف .

واستمر الأمر على ذلك إلى اليوم لم يخطب قط بمكة لأحد من خلفاء

---

(١) « اليوم » المقصود بها أيام تأليف هذا الكتاب أى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى (١٥ م) ، وعن أسماء خلفاء العباسيين فى مصر وسيرهم انظر : زامباور : معجم الأنساب — الترجمة العربية — ص ٤ — ٥) و (محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ، ج ٢ ، ص ٨ — ٤٧) وتراجم هؤلاء الخلفاء فى كتابى : (ابن حجر : الدرر الكامنة) و (السخاوى : الضوء اللامع) .

(٢) الأصل و (ب) و (ل) : « تسع » وهو خطأ لأن المنصور لاچين تولى السلطنة سنتين من صفر سنة ٦٩٦ إلى ربيع الآخر سنة ٦٩٨ ، فالصحيح أن يكون الخليفة الحاكم حج فى سنة ٦٩٧ لا سنة ٦٩٩ . راجع : (السلوك للمقريزى) و (النجوم لابن تغرى بردى) .

(٣) هو الشريف أبو نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة ، وينتهى نسبه إلى الحسن بن على بن أبى طالب ، تولى إمرة مكة أربعين سنة ، وتوفى سنة ٧٠١ هـ .

(٤) (ب) : « مفاخرة » .

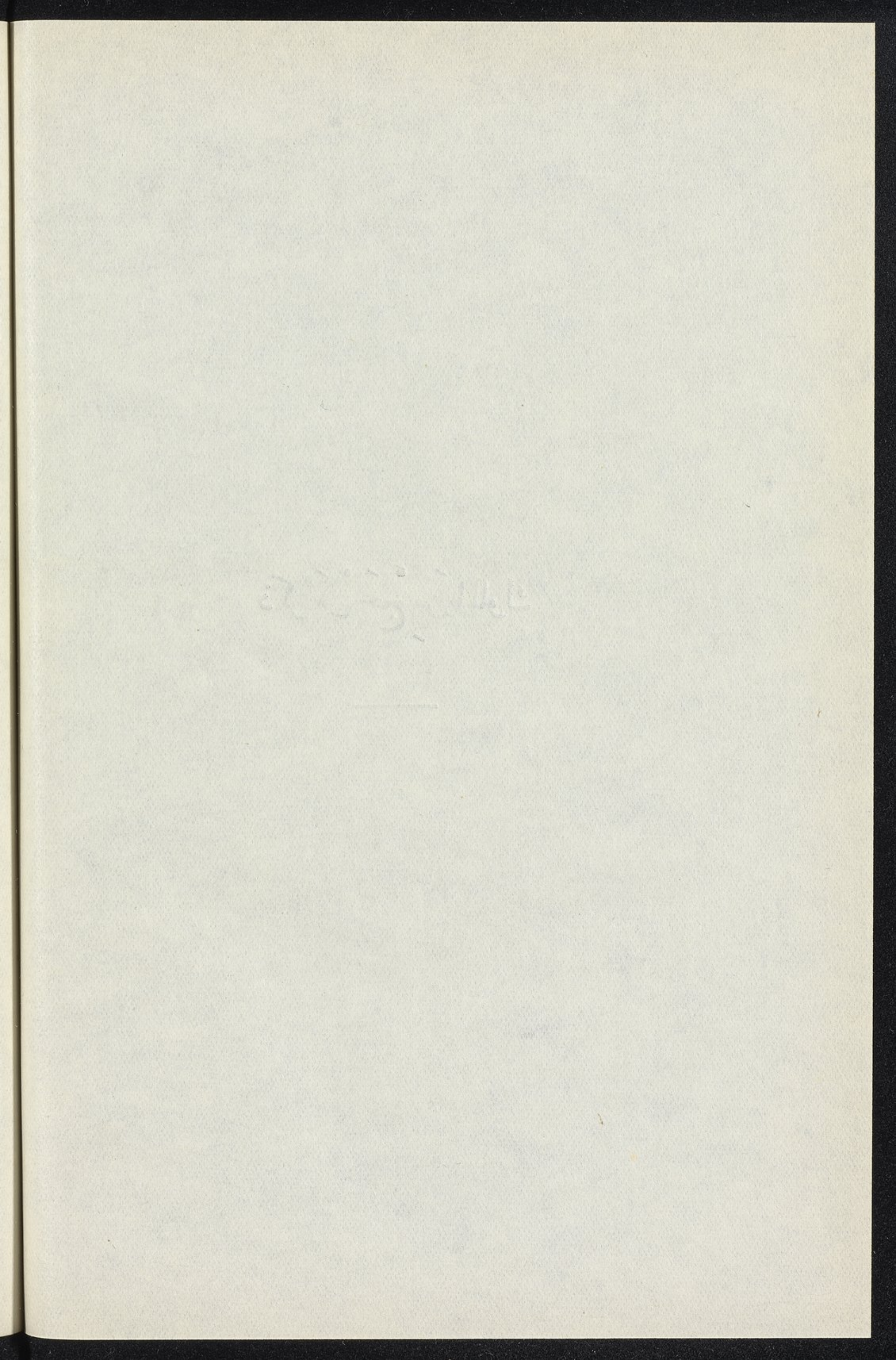
مصر العباسيين[1] سوى الخليفة المستعين بالله أبى الفضل العباس[2] بن محمد أياماً يسيرة فى سنة خمس عشرة وثمانمائة[3] .

(١) هذه ملاحظة قيمة لها أهميتها عند دراسة تاريخ الخلفاء العباسيين فى مصر ، فإنه لم يكن لأحد من هؤلاء الخلفاء شىء من السلطة الحقيقية أو الاسمية ، ومن أقوى الدلائل على هـذا ما يذكره المقريزى هنا أنه لم يخطب لأحد من الخلفاء العباسيين المصريين على منابر مكة سوى المستعين بالله — ولأيام قليلة — ، ومن الدلائل على استهانة الناس بمكانة الخليفة أنه عندما طلب من أمير مكة أن يخطب له رفض ، ولم يكتف بالرفض بل تعالى على الخليفة بنسبه لأنه علوى ، ولعله كان يرى نفسه أحق بالخلافة فقد ورد فى (المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٩٢٧) عند الحديث عن أبى نمى قوله : « وكان يقال : لولا أنه زيدى اصلح للخلافة ، لحسن صفاته » .

(٢) هو أبو الفضل العباس بن الخليفة المتوكل على الله محمد ، عاشر الخلفاء العباسيين بمصر ، أمه أم ولد تركية ، ولى الخلافة بعد موت أبيه بعهد منه فى رجب ٨٠٨ هـ فى عهد السلطنة الثانية للناصر فرج بن برقوق ، وفى سـنة ٨١٥ هـ عند ماقبض الأميران شيخ ونوروز على الناصر اتفقا على تولية المستعين السلطنة والخلافة معا ، فوليها اسما وظلت السلطة الفعلية بيد المحمودى إلى أن خلعه بعد ستة شهور واستقل هو بالسلطنة ، وسجن المستعين بالاسكندرية ، وبويع بالخلافة أخوه داود ولقب بالمعتضد بالله ، ولبث المستعين سجيناً إلى أن أطلق سراحه السلطان ططر ، فأقام بالإسكندرية يشتغل بالتجارة إلى أن توفى سـنة ٨٣٣ هـ . وهو الوحيد من بين خلفاء العباسيين فى مصر الذى ولى الخلافة والسلطنة معا . انظر : (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ١٩ — ٢٠) (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٦٧) و (السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٦٨ — ٧١) .

(٣) لذكر هذه السنة هنا أهمية خاصة عند تحديد السنة التى ألف فيها هذا الـكتاب فهى تدل على أن الـكتاب ألف بعد سنة ٨١٥ هـ .

ذكر مَنْ حَجَّ مِنَ الملوك



الملك الصليحى

واسمه :

على بن محمد بن على

أحد ثوار العالم ، كنيته أبو الحسن بن محمد[١] ، كان أبوه على قضاء اليمن ، ومن أهل السنة ؛ وكان فى عشيرة من قومه ، فصحب علىٌّ داعِىَ اليمن [عامر بن][٢] عبد الله الزواحى[٣] — أحد دعاة الدولة الفاطمية — ومال إلى مذهب التشيّع ، وتضلع من علوم الشيعة حتى صار إماماً فيه ، ثم ثار سنة تسع وعشرين وأربعمائة بستين[٤] رجلا أصحاب عشاير ، فصار فى عشرين ألف ضارب سيف من يومه .

(١) الأصل و (ل) : « بن أبى محمدى » وهو خطأ . انظر ترجمته وبعض أخباره فى : (عمارة : تاريخ اليمن ، نشر Kay ، ص ١٤ ، ٢٣) و (والمقريزى : اتعاظ الحنفا ، نشر الشيال ، ص ٢٧٩) و (ابن خلكان : الوفيات) و (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٥٨ ، ٧٢ ، ١١٢) و (الشيال : العلاقات بين مصر واليمن فى العصر الفاطمى : مجلة الكتاب ، عدد ابريل سنة ١٩٤٨ ، ص ٥٥٠ — ٥٦١) .

(٢) زيادة عن (ب ، ١١٧ ا) .

(٣) الأصل : « الرواحى » وقد صحح الاسم بعد مراجعة : (عمارة : تاريخ اليمن ، ص ١٤) حيث ذكر أن الزواحى قرية من أعمال حراز باليمن .

(٤) (ل) ص ١٥٠ ا : « بتسعين » .

ودعا للإمام المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بن الحاكم — أحد الخلفاء الفاطمية بالقاهرة — ، وملك اليمن كله ، سهله وجبله ، ووعره وبره وبحره ، وخطب بنفسه ، وكانت قاعدة ملكه صنعاء .

وحَجَّ سنة [خمس وخمسين][1] وأربعمائة ، وملك مكة فى سادس ذى الحجة منها ، ونشر بها العدل ، وأكثر فيها من الإحسان ، ومنع المفسدين ، وأَمَّنَ الناسَ أمناً لم يعهدوه قبله ، ورخصت بها الأسعار لكثرة ما جُلب[2] إليها بأمره ، فأحبَّه الناس حباً زائداً ؛ وكسى الكعبةَ الديباج الأبيض — وهو كان شعار [الدولة][3] الفاطمية[4] — وأقام بها دعوتهم .

ثم حَجَّ فى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ، فلما نزل ظاهر المهجم قُتِل فى ثانى عشر ذى الحجة بيد سعيد الأحول بن نجاح[5] ؛ والله[6] سبحانه وتعالى أعلم[6] .

(٧٥ ب) وملك بعده ثم حَجَّ :

---

(١) مابين الحاصرتين زيادة عن (ل) وهذا التاريخ هو الصحيح فقد ذكر (ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ٧٢) أن عليا الصليحى حج سنة ٤٥٥ هـ ، فقد قال فى حوادث هذه السنة : « فيها دخل الصليحى الى مكة ، واستعمل الجميل مع أهلها ، وأظهر العدل والإحسان ، وطابت قلوب الناس له ورخصت الأسعار ، وكان شابا أشقر اللحية أزرق العينين ، وليس كان باليمن أشقر أزرق غيره ، ... وكسا البيت الحرام بثياب بيض ... »

(٢) (ب) : « ما جبل » والأصل : « يجلب » ، وما هنا صيغة (ل) .

(٣) زيادة عن (ب) و (ل) .

(٤) هذه إشارة لها أهميتها أن البياض كان شعار الدولة الفاطمية .

(٥) انظر ترجمة الأحول وقصة قتله لعلى الصليحى فى : (عمارة : تاريخ اليمن » ص ٦٠ — ٦٣) .

(٦) هذه الفقرة غير موجودة فى (ب) و (ل) .

الملك العادل نور الدين محمود

ابن أتابك عماد الدين زنكى(١) بن أبى سعيد قسيم الدولة آق(٢) سُنْقُر — المعروف بالحاجب — بن عبد الله .

كان جده آق مملوكا تركياً للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى ، وترقى إلى أن استنابه تاج الدولة تُتُشْ بن أرسلان فى حلب لما ملكها فى سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة ، فعصى عليه وحاربه ، فقُتِل فى جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وأربعمائة ؛ وصار(٣) ابنه عماد الدين زنكى من الأمراء ببغداد ، ثم ولى الموصل سنة اثنين وعشرين وخمسمائة ؛ وأخذ(٤ الرُّها ، وقُتِل فى جعبر فى ربيع الآخر فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة٤) — وهو على فراشه(٥) — .

ووُلد نور الدين محمود فى سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة ،

---

(١) الأصل و (ل) : ابن عماد الدين أتابك بن زنكى » وهو خطأ ، صحح بعد مراجعة : (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٤) و (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ١٩) .

(٢) الأصل و (ل) بن آق سنقرى ولفظ « بن » زائدة فحذفناها لأن قسيم الدولة هو آق سنقر نفسه .

(٣) الأصل : « وسار » ، والتصحيح عن (ب) .

(٤) ما بين الرقمين ساقط من (ب) .

(٥) انظر ترجمة عماد الدين وتفصيل أخبار قتله فى (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ٢٨ — ١٠٠) .

فقام بعد قتل أبيه وأخذ قلعة حلب ، وجَدَّ[١] فى قتال الفرنج — و بيدهم حينئذ من الرُّها إلى السوادة[٢] من حدود أرض مصر — ، وافتتح عدة حصون ، وأظهر بحلب مذهب[٣] أهل السنة ، — وكان أهلها من الرافضة[٤] — ، وأبطل الأذان[٥] بحىّ على خير العمل ؛ وأنشأ بها المدارس[٦] على مذاهب الأئمة الأربعة .

ثم ملك دمشق بعد ما أشرف الفرنج على أخذها ، وضَبطَ أمورها ، وأنشأ بها المدارس والمساجد[٦] والبيمارستان[٧] ، وعَمّرها ، وأبطل المكوس[٨] كلها ، ومنع المنكرات بأسرها وعاقب عليها ، واستنقذ من

---

(١) (ب) « وأجد » .

(٢) لم أجد لهذا المكان تعريفا إلا ما ذكره محمد رمزى فى تعليقاته على (النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٠ ، هامش ٣) حيث قال عند تعريفه بالسائح : « السائح كان يطلق على منطقة الأراضى الواقعة على جانبى الترعة السعيدية فى المسافة الواقعة بين ناحيتى سوادة والصالحية بمركز فاقوس » .

(٣) الأصل : « مذاهب » ، وما هنا عن : (ب) .

(٤) يقصد أنهم كانوا من الشيعة .

(٥) لاستيفاء موضوع هذا الأذان الشيعى وتطوره انظر : (المقريزى الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٤ — ٤٩) و (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، نشر الشيال ، ص ١٦٩) .

(٦) راجع : (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣) و (ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٥٧) ، و (النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ا ، ص ٦٠٦) و (كرد على : خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٦٦) .

(٧) (ب) و (ل) « المارستان » .

(٨) انفرد (ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٧١ — ٢٧٩) =

الفرنج عدة معاقل ، و بنى فى أكثر ممالكه دار العدل ، وأحضر [بها](١) القضاة [والفقهاء](١) وجلس فيها بنفسه لإزالة المظالم(٢) .

وبالغ فى الإحسان لأهل مكة والمدينة ، و بعث العساكر لحفظ المدينة النبوية ، وأقطع أمير مكة إقطاعاً ، وأقطع أمراء العربان إقطاعات لحفظ الحاج فيما بين دمشق والحجاز ، وأكمل سور المدينة النبوية ، واستخرج لها العين ؛ فدُعى له بالحرمين على منبريهما .

و بعث الأمير أسد الدين شيركوه بالغز(٣) إلى [مصر](٤) ، واستنقذ القاهرة من الفرنج بعد ما حاصرها مُرِّى(٥) — لعنه الله — بعساكر

= بذكر التواقيع التى أصدرها نور الدين لأبطال المكوس من أنحاء مملكته ، وهى وثيقة من أهم وأندر الوثائق التاريخية التى تعين على فهم ودراسة هذا النوع من الضرائب بالشام قبل عصر نور الدين وفى أوائل عهده ، فراجعها هناك .

(١) زيادة عن (ب) و (ل) .

(٢) انظر قصة دار العدل هذه والأسباب التى دفعت نور الدين الى إنشائها فى : (ابن واصل . مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٦٨ — ٢٦٩) .

(٣) الأصل : « بالغزو » وما هنا صيغة (ل)

(٤) الأصل : « القاهرة » ، وما هنا صيغة (ب) و (ل)

(٥) هو « أملريك الأول Amalric I » ملك بيت المقدس ، وتسميه المراجع العربية : « مُرِّى » أو « عمورى » ، وقد ولى الملك بعد وفاة أخيه « بلدوين الثالث Baldwin III » الذى لم يعقب . انظر :

(Ranciman : *A History of the Crusades*. vol. 2. *The Kingdom of Jerusalem and the Frankish East*. 1100-1187. p.p. 362 ff)

و (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ١٥٥ وما بعدها) .

الفرنج أياماً ، ولم يبق إلا أن يملكها ؛ فلما استولى شيركوه على القاهرة دعا لنور الدين على منابر القاهرة ومصر .

ومات فى حادى عشر شوال سنة تسع وستين (١٧٦) وخمسمائة بدمشق بعد ما حَجَّ فى سنة ست وخمسين وخمسمائه[١] ، وأكثر من فعل الخير بالحرمَيْن الشريفين ، وبالغ فى الإحسان إليهم[٢] — رحمه الله تعالى[٢] —

الملك المعظم شمس الدولة توران شاه

ابن والد الملوك نجم الدين أيوب[٣] بن شادى بن مروان الكردى .

نشأ بدمشق ، وقدم إلى القاهرة مع أهله فى سنة أربع وستين وخمسمائة ، وقد تقلد أخوه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة مصر للخليفة العاضد لدين الله أبى محمد عبد الله بن الأمير يوسف ابن الحافظ لدين الله ، فكان من أعظم الأسباب فى نصرة أخيه صلاح الدين يوم وقعة السودان[٤] حتى هزمهم وأفناهم بالسيف ، فأقطعه قوص وأسوان

---

(١) (ل) : « وستمائة » ، وما هنا هو الصحيح .

(٢) ما بين الرقين غير موجود فى (ب) أو (ل)

(٣) الأصل : « بن أيوب » وما هنا صيغة (ل) وهو الصحيح .

(٤) انظر تفصيل الحديث عن هذه الوقعة فى : (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ١٧٤ — ١٧٨) و (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٨) و (ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢٩) و (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢ — ٣ و ٢٩ — ٣٠) .

وعَيْذَاب ، وعبرتها[١] يومئذ مائتا ألف دينار وستة وستون ألف دينار مصرية فى كل سنة .

ثم غزا النوبة[٢] فى سنة ثمان وستين ، [وأخذ قلعة ابريم ، وعاد غانماً ؛ ثم سار إلى بلاد اليمن[٣] فى سنة تسع وستين[٤] ، وعلى مُلْك زبيد أبو الحسن على[٥] بن مهدى الملقب عبد النبى ، وقدم مكة معتمراً ، وتوجه

---

(١) الأصل : وعبرتهما » ، و (ب) : » عبرتهم » وما هنا صيغة (ل) :

(٢) توجد تفاصيل وافية عن غزوة تورانشاه لبلاد النوبة فى : (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩) و (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩) و (Casanova : *Les Derniers Fatimids. Memoires de la Mission Archeologique Francaise du Caire*. *Tome* VI, 3, p.p. 415-445).

(٣) لاستيفاء موضوع فتح اليمن وخطوات الفتح وأسبابه ... الخ راجع : (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ٢٣٧ — ٢٤٣) و (ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٨) و (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ و ٢٢٠) و (بدر الدين محمد بن حاتم : السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن — مخطوط —) و (بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص ١٢٧ — ١٢٨) و (سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ — ٣٠١) و (الحنبلى : شفاء القلوب — مخطوط — ، ص ١١٢ — ١١٣)

(٤) هذه الجملة ساقطة من الأصل و (ب) وتوجد فى (ل) فقط والسياق يقتضيها .

(٥) المهديون أسرة حكمت زبيد بين سنتى (٥٥٤ — ٥٦٩ هـ : ١١٥٩ — ١١٧٣) وحكم من هذه الأسرة ثلاثة فقط : على بن مهدى ، ومهدى بن على ، وعبد النبى بن على ، انظر :

(St. Lane-Poole : *Mohammadan Dynastics*. P. 96).

إلى زبيد ، واستولى على ممالك اليمن ، وتلقب بالملك المعظم ، وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسى .

ثم توجه فى سنة إحدى وسبعين إلى الشام ، فملَّكه أخوه صلاح الدين دمشق فى ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين .

ثم جَهَّزه[1] إلى القاهرة فى ذى القعدة سنة أربع وسبعين ، وأنعم عليه بالإسكندرية ، فأقام بها إلى أن مات هناك [أول صفر][2] سنة ست وسبعين وخمسمائة[3] ، فوجد عليه مبلغ مائتى ألف دينار مصرية [دينا][1] قضاها عنه السلطان صلاح الدين ؛ وسبب هذا الدين كثرة جوده ، [وسعة عطائه][1] .

ومن غريب ما يحكى عنه أن الأديب الفاضل مهذب الدين أبا طالب محمد بن على الخيمى[4] قال : « رأيت فى النوم المعظم شمس الدولة توران شاه ، وقد مدحتُه وهو فى القبر ميت ، فلفَّ كفنه ورماه [إلىّ][5] وأنشدنى :

---

(١) الأصل : « تجهز » ، وما هنا صيغة (ل) و (ب) .

(٢) زيادة عن (ل) و (شفاء القلوب)

(٣) ذكر (الحنبلى : شفاء القلوب — مخطوط — ، ص ١٣ ب) أن نورانشاه توفى بالإسكندرية ، ولكنه لم يدفن بها ، بل نقلته شقيقته ست الشام إلى تربتها بظاهر دمشق ؛ انظر أيضا : (النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ٢٧٧ — ٢٧٨) .

(٤) ذكر (الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ١٣ ب) أن هذا الشاعر اسمه : « محمد بن على الحليمى الشاعر » .

(٥) زيادة عن (ب) و (شفاء القلوب) .

لا تَستَثقلَنَّ مَعْرُوفاً سَمَحْتُ به ... مَيْتاً ، وأمسيت[1] منه عارياً بَدَنِى

ولا تَظُنَّنَّ جُودى شَأنُهُ[2] بَخَلٌ ... مِنْ بَعْدِ بَذْلِى[3] مُلْكَ الشَّامِ والْيَمَنِ

إِنِّى خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ مَعِى ... من كل[4] ما ملكت كفى سوى الكفن[5]

(٧٦ ب) وإليه يُنسب درب[6] شمس الدولة بالقاهرة .

وقد ذكرتُ ترجمته[6] مبسوطة فى كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار »[7] ، وكتاب « التاريخ الكبير المقفى لمصر »[7] .

الملك المعظم شرف الدين أبو الفتح عيسى
ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد

ابن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان ، الكردى ، الأيوبى ، الفقيه الحنفى ، النحوى ، الأديب ، الشاعر .

---

(١) (ب) : « فأصبحت » .

(٢) فى المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٦٠) : « شابه » .

(٣) النص فى (شفاء القلوب) : « من يدى ملك الشام واليمن » .

(٤) الأصل : « ملك » وما هنا صيغة (ل) و (شفاء القلوب) .

(٥) (ل) « كفنى »

(٦) انظر ترجمة تورانشاه والكلام عن درب شمس الدولة فى : (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٥٩ — ٦٠) .

(٧) سبق أن أشار المقريزى هنا إلى كتابيه هذين ، انظر ما فات ص ١٦ ، هامش ١ ؛ ص ٢٨ ، هامش ١ ؛ ص ٥١ ، هامش ٣ .

وُلد بالقاهرة فى سنة ست وسبعين وخمسمائة[١] ، وتفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة بالشيخ جمال الدين أبى المحامد[٢] محمود بن أحمد الحصيرى البخارى الحنفى ، وأخذ العربية عن التاج أبى اليمن زيد[٣] بن الحسن الكندى ، وكان يسعى إلى منزليهما على قدميْه لأخذه العلم عنهما ؛ وأفرط فى العصبية لمذهب الحنفية ، وشرح الجامع الكبير فى الفقه ، وصنَّف « السهم المصيب فى الرد على الحافظ أبى بكر الخطيب »[٤] ، وروُى[٥] بخطه على « كتاب سيبويه » : « إننى قطعته حفظاً من خاطرى »[٦] ،

---

(١) فى الأصل وجميع النسخ : « ولد بدمشق فى خامس رجب سنة ست وخمسين وخمسمائة » وفى (المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٢٢٤) : « ومولده بدمشق فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة » وما هنا عن : (سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٦٤٤) و (الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ١١٤ ا) و (ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٦ ، ص ٢٦٧) وهو الصحيح

(٢) (ب) : « أبى المحمود » وهو خطأ ظاهر ، وانظر ترجمة الحصيرى فى : (أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٨٦ و ١٦٧) و (ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨٢) و (ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٦ ، ٢١٣) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٥٢) .

(٣) ترجمته فى : (ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٤٥) و (ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١١ ، ص ١٧١) و (ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٢٤٨) و (أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٩٥ — ٩٨) و (الذهبى : طبقات القراء ، ج ٢ ، ص ١٨٢) و (السيوطى : بغية الوعاة ، ص ٢٤٩) و (ديوان ابن الساعاتى فى مواضع متفرقة منه) .

(٤) طبع هذا الكتاب فى مطبعة السعادة بالقاهرة ، سنة ١٣٥١ (١٩٣٢) .

(٥) الأصل و (ب) : « ورى » وما هنا عن (ل) .

(٦) ذكر (ابن واصل : مفرج الكروب ، مخطوطة باريس ، ص ٢٤٧ ا) =

وعلى كتاب « النكت فى الفقه على مذهب أبى حنيفة » إننى قطعته حفظا[١] — وهو فى مجلدين — .

واعتنى بالعلم وأهله عناية تامة ، وسمع الحديث عن[٢] حنبل ، وعمر بن طبرزد ، وغيره ؛ وحدَّث .

وأعطاه أبوه الملك العادل دمشق ، وجعل فى ولايته غزة والكَرَك والشَّوْبَك ، وذلك فى سنة ست وتسعين وخمسمائة ، فلم يزل حتى مات بدمشق آخر ذى القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة .

وحَجَّ[٣] فخرج من دمشق فى حادى عشر ذى القعدة سنة إحدى عشرة وستمائة[٣] على الهجن ، وسار[٤] على طريق تبوك ، وبنى البركةَ وعدةَ مصانع[٥] ، وتصدق على أهل الحرمَيْن بصدقات جليلة[٦] ؛ وقدم

= أنه قرأ أثناء مقامه فى بيت المقدس بين سنتى ٦٢٢ و ٦٢٤) نسخة من كتاب سيبويه عليها خط الملك المعظم عيسى وما يفيد أنه قرأها ، قال ابن واصل : « ولقد وقفت على نسخة من كتاب سيبويه وعليها خط الملك المعظم فى عدة مواضع أظنها ستة ، يقول فى بعضها : أنهمته مطالعة ومراجعة وأنا منازل لمدينة أرسوف ؛ وفى بعضها : أنهمته مطالعة ومراجعة وأنا بنابلس » .

(١) الأصل : « إنه قطعة حفظا » و (ل) : « إنه قطعته حفظا » وقد صححت بما يقتضيه السياق .

(٢) (ب) و (ل) « من » .

(٣) ما بين الرقمين ساقط من (ب) وموجود فى الأصل و (ل) ، وهذا مثل من أمثلة كثيرة تدل على أفضلية نسختى استنبول والاسكوريال .

(٤) (ب) : « وصار » .

(٥) المصنعة (ج مصانع) مكان كالحوض يجمع فيه ماء المطر . (القاموس) .

(٦) (ل) « جزيلة » .

منها إلى القاهرة وافداً على أبيه ومعه الشريف سالمُ بن قاسم — أمير المدينة — شافعاً فيه ، فأكرمه العادل ، و بعث معه عسكراً إلى المدينة ، وعاد المعظم إلى دمشق .

وقد ذكرتُ ترجمته مستوفاة فى « التاريخ المقفى لمصر »[1] .

الملك المسعود صلاح الدين
أبو المظفر يوسف

ويُقال له : « أطْسِزْ »[2] ، ويقال : « أقسيس » ، ابن السلطان[3] الملك الكامل ناصر الدين أبى[3] المظفر محمد بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن والد الملوك نجم الدين أبى (١٧٧) الشكر أيوب بن شادى بن مروان ، الكردى الأيوبى .

وُلد فى ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وولّاه أبوه مملكة

---

(١) انظر ماقاتهنا ص٢٨ ، هامش١ ؛ ص٥١ ، هامش٣ ؛ ص٧٣ ، هامش٧ .

(٢) رسم هذا الاسم عند (ابن واصل : مفرج الكروب ، مخطوطة استنبول ، ص ١٠٩ ب) : « اتسز » وعقب عليه بقوله « وهو اسم بلغة الترك ، والعامة يسمونه الأقسيس » ، أما (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٤ ، ص ١٧٠) فقد ضبطه هكذا أطسِيس » وشرحه بقوله : « وهى كلمة تركية معناها بالعربية — ماله اسم — ويقال : إنما سمى بذلك لأن الملك الكامل ما كان يعيش له ولد ، فلما ولد له المسعود المذكور قال بعض الحاضرين فى مجلسه من الأتراك : فى بلادنا إذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه أطسيس ، والناس يقولون « أقسيس بالقاف ، وصوابه بالطاء » .

(٣) صيغة (ب) : « ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى المظفر » وهو خطأ ظاهر من الناسخ . وهذا دليل آخر على أفضلية نسخة استانبول .

اليمن فى أيام جده سنة إحدى عشرة وستمائة ، فسار إليها فى ألف فارس ، ومن الجاندارية[١] والرماة خمسمائة ، وقدم مكة ، وتوجه منها إلى زبيد وملكها ، واستولى على تهامة وتعز وصنعاء وسائر ممالك اليمن .

وحَجَّ فى سنة تسع عشرة وستمائة ، وقاتل أمير مكة الشريف حسن ابن قتادة الحسنى ، وهزمه ونهب مكة ؛ فلما كان يوم عرفة منع أعلام الخليفة من التقدم على أعلام أبيه ، وأظهر من الجرأة على الله قبائح ، منها أنه كان يصعد على زمزم[٢] فيرمى حمام الحرم بالبندق[٣] ، ويستخف بحرمة

---

(١) (ب) : « ومن الخازندارية » ، وما هنا هو الصحيح .

(٥) روى (ابن واصل : مفرج الكروب ، مخطوطه استانبول ، ٩ . ا ب — . اا ب) تفاصيل وافية قيمة عن العلاقات بين المسعود وحسن بن قتادة أمير مكة ، فانظرها هناك .

(٢) (ب) و (ل) : « على أعلى زمزم » .

(٣) عرف (جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، ج ٥ ، ص ١٥٩ — ١٦٠) البندق بقوله : « البندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها ، وهى فارسية بلفظها واستعمالها ، ويسمونه أيضا الجلاهقات — جم جلاهق — ، فكان الفرس يرمون هذا البندق عن الأقواس كما يرمون النبال ، واقتبس العرب هذه اللعبة فى أواخر أيام عثمان بن عفان ، وعدوا ظهورها فى المدينة منكرا ، ثم ألفوها حتى شكلوا فرقا من الجند ترمى بها . . . وكان رماة البندق فى العصر العباسى طائفة كثيرة يخرجون إلى ضواحى المدن يتسابقون فى رميه على الطير ونحوه ، ويعدون ذلك من قبيل الفتوة ... ولهم زى خاص يمتاز بسراويل كانوا يلبسونها ويسمونها سراويل الفتوة ... وكان لرمى البندق شأن كبير فى العصور الوسطى بالعراق والشام ومصر وفارس وغيرها ، ثم تفننوا فى رمى البندق بالمزاريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخر الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق ، فلما اخترعوا البارود صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب ، وسموا هذه الآلة بندقية نسبة إليه ، وقد عنى الخليفة الناصر العباسى (ت ٦٢٢ هـ) =

الكعبة ؛ وأكثر من سفك الدماء ، وكان إذا نام فى داره بالمسعى ضربت الجاندارية الطائفين بالمسعى بأطراف السيوف[1] ، لئلا يشوشوا عليه وهو فى النوم من شدة سكره بالخمر[2] .

ثم عاد إلى اليمن ، وخرج منها بعد ما استخلف عليها نور الدين عمر ابن على بن رسول الكردى فى سنة اثنتين وعشرين ، وقدم القاهرة بهدايا جليلة ، ونزل بالقصر ، وأقام لأبيه حرمة وافرة ، فخافته الأمراء والأجناد ، وخشوا سطوته .

ثم توجه إلى اليمن بعد ما أتاه التشريف الخليفى من بغداد ، فأقام بها إلى أن بلغه أن أباه أخذ دمشق ، فتاق إلى أخذها عوضاً عن اليمن ،

= عناية خاصة بالبندق حتى جعل رميه فنا لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها منه مباشرة أو من أحد رسله وكالة » ؛ وقال (ابن واصل : مخطوطة مفرج الكروب ، حوادث سنة ٦٠٧ هـ) : « وفى هذه السنة وردت رسل الخليفة الإمام الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها ، ويكون انتماؤهم إليه ، ورعية كل ملك يشربون لذلك الملك ويلبسون له ، ففعلوا ما أمروا به ، وأيضا تنسب الملوك إليه فى رمى البندق ويجعلوه قدوتهم فيه ، ففعلوا ذلك » ؛ انظر أيضا : (ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٣) ، وانظر منشور الناصر بشأن الفتوة فى : (ابن الساعى : الجامع المختصر ، ص ٢٢٣ — ٢٢٥) .

(١) هذا اللفظ ساقط من (ب)

(٢) الأصل : « باليمن » ، والتصحيح عن (ب) و (ل)

وخرج بأمواله وأثقاله ، فمات بمكة فى ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمائة فدُفن بالمَعْلَاة[١] .

وقام بأمر اليمن بعده نائبه عمر بن على بن رسول[٢] ؛ وقد استوفيت أخباره فى « تاريخ مصر المقفى »[٣] ؛ وإليه تُنسب الدراهم المسعودية بمكة المشرفة[٤] .

الملك المنصور [نور الدين][٥] عمر ابن على بن رسول الكردى

ملك اليمن بعد موت الملك المسعود ، و بعث إلى الملك الكامل هدية جليلة ، وقال : « أنا نائب السلطان على البلاد » ، فأقرَّه عليها .

وعمر هـذا أول من ملك اليمن من بنى رسول ، و بويع له بها سنة

---

(١) كذا بالأصل ، وفى (ل) و (ب) : « المعلى » ، وقد ضبط الاسم بعد مراجعة (ياقوت : معجم البلدان) حيث قال إن المعلاة موضع بين مكة وبدر ، بينه و بين بدر الأُثيل .

(٢) انظر ترجمته وأخباره وكيف آل إليه ملك اليمن بعـد الأيوبيين فى : (الخزرجى : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية) و (بدر الدين بن حاتم : السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن — مخطوطة) .

(٣) انظر ما فات هنا ، ص ٢٨ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٦ .

(٤) هذا اللفظ غير موجود فى (ب) و (ل) .

(٥) زيادة عن (ب) .

تسع وعشرين ، وخُطب له بمكة فيها أيضاً ؛ ودامت مملكته إلى أن قتل في سنة سبع وأربعين وستمائة .

وملك[١] بعده ابنه الملك المظفر شمس الدين يوسف .

وحَجَّ نور الدين هـذا في سنة إحدى وثلاثين (٧٧ ب) وستمائة على النجب .

وبعث في سنة ثنتي وثلاثين إلى الكعبة قناديل من ذهب وفضة .

وحَجَّ أيضاً في سنة تسع وثلاثين ، وأبطل المكوس والجبايات [من مكة][١] ، وكتب ذلك تجاه الحجر الأسود ، فاستمر ذلك حتى أزاله ابن المسيب لما تولى مكة سنة ست وأربعين وستمائة[٢] ، وأعاد المكوس والجبايات ؛ وصام شهر رمضان بمكة .

واتفق في سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقيل أربع وأربعين وستمائة ، أن هاجت ريح شديدة مزّقتْ كسوة الكعبة وألقتها ، وبقيت الكعبة عارية ، فأراد عمر بن رسول أن يكسوها ، فامتنع من ذلك شيخُ الحرم عفيفُ الدين منصور بن منعة البغدادى ، وقال : « لا يكون ذلك إلا من الديوان » — يعنى الخليفة — وكساها ثيابا من قطن مصبوغة بالسواد ، وركب عليها الطرز القديمة . [٣]والله سبحانه وتعالى أعلم[٣] .

(١) ما بين الرقين ساقط كله من (ب) ، وهذا مثل قوى واضح على أفضلية نسختى استانبول والاسكوريال

(٢) زيادة عن (ل)

(٢) هذه الفقرة غير موجودة فى (ب) و (ل)

الملك الناصر أبو شادى [داود][١]

ابن الملك المعظم أبى الفتح عيسى بن الملك [العادل][٢] سيف الدين أبى بكر محمد بن نجم الدين أبى الشكر أيوب بن شادى بن مروان الكردى الأيوبى .

وُلد فى تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة ، وحفظ القرآن وعمره تسع سنين[٣] ، وقال الشعر وهو ابن عشر سنين ، وبرع فى كل فن من علوم الأدب والحكمة وغير ذلك .

وولى سلطنة دمشق بعد موت أبيه — وهو فى الحادية عشرة[٤] من عمره — أول ذى الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة ؛ وأقبل على اللهو ، فطلب منه عمه السلطان الملك [الكامل][٥] قلعة الشَّوْبَك ، فامتنع ، فتنكر عليه ، وعزم على المسير إليه ونزعه من سلطنته[٦] .

وأخذ الناصر فى ظلم[٧] الرعية وأخذ أموالهم ، والانهماك فى اللعب ؛

---

(١) زيادة عن (ل) .

(٢) الأصل : « الكامل » ، وما هنا عن (ب ، ١٢٠ ب) ، و (ل) وهو الصحيح .

(٣) هذا اللفظ غير موجود فى (ب) .

(٤) (ب) : « فى السنة الحادية » و (ل) : « فى السنة الحادى عشر » .

(٥) زيادة عن (ب) .

(٦) (ب) : (ل) « ونزعه من سلطنة مصر » ، وهو خطأ واضح ، لأن الناصر بن المعظم عيسى لم يل سلطنة مصر أبدا ، والسياق يرفض هذا المعنى كذلك .

(٧) الأصل و (ب) : « طلب » وما هنا صيغة (ل) وهو أصح .

واستدعى عمه الملك الأشرف شاه أرمن موسى ، فقدم عليه من الشرق ، وحكَّمه فى المملكة ، فآل الأمر أن حاصر الملك الكامل دمشق حتى أخذ الناصر ، وعوضه عن دمشق بالكرك والشوْبك والصلت والبلقاء والأغوار جميعها ، ونابلس وأعمال القدس و بيت جبريل ، [وكانت هذه الأعمال يومئذ عامرة جليلة القدر][1] ؛ ثم نزل الناصر عن الشوْبك لعمه الكامل ، وتسلم الكاملُ دمشق أول شعبان سنة ست وعشرين .

فأقام (الناصر) بالكرك ، وكانت له قصص (١٧٨) وأنباء ، ذكرتها فى « التاريخ الكبير المقفى »[2] ، آلت به أن تشتت فى البلاد ؛ وموته فى إحدى قرى دمشق يوم السادس عشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستمائة ، فدُفن بصالحية دمشق .

وحَجَّ فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وسبب حجه أنه لما تنكَّر له الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، و بعث إليه الأمير فخرَ الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه على العساكر ، فهزمه وأوقع الحوطة على بلاده ، ونازل الكرك[3] حتى طلب منه الأمان ، فرحل عنه وقد ضاقت الأمور بالناصر ، فخرج إلى حلب ومعه جواهر جليلة قيمتها ما ينيف على مائة ألف دينار[4] ، فبعثها إلى الخليفة المستعصم

(١) زيادة عن (ب ، ١٢١ ا) و (ل ، ١٥٧) .

(٢) انظر ما فات هنا ، ص ٢٨ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٦ .

(٣) (ب) : « الترك » ، وهو خطأ واضح .

(٤) (ب) « على ألف دينار » .

بالله ببغداد ، لتكون عنده وديعة ، فقُبضت من رسوله ، وكُتب الخط الشريف بقبضها ، فشقّ ذلك على أولاده ، وخرجوا عن طاعته ، ولحق بعضهم بالملك الصالح نجم الدين أيوب بمصر ، وسلمه الكرك .

فجرت أمور آلت بالناصر إلى مسيره إلى بغداد لطلب وديعته ، فمنعه الخليفة من الدخول إليها ، ومطله بالجوهر ، فلما أيس من ذلك سار إلى مكة من طريق العراق ، وحَجَّ ، فلما قدم المدينة النبوية تعلق بأستار الحجرة[1] بحضرة الناس ، وقال : « اشهدوا أن هذا مقامى من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — داخلاً عليه ، مستشفعاً به إلى ابن عمه المستعصم فى أن يرد علىّ وديعتى ؛ فأعظم الناس ذلك ، وجرت عبراتهم ، وارتفع ضجيجهم بالبكاء ؛ وكُتب بصورة ما جرى مكتوبٌ فى يوم السبت ثامن عشر من[2] ذى الحجة ، وتسلمه أمير حاج العراق ، ومضى الناصر[3] معه إلى بغداد ، فعُوِّض عن الجوهر بشىء تافه ؛ وعاد إلى الشام مقهوراً .

(١) (ل) : « بأستار الكعبة الحجرة » وهو خطأ .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى (ل) : « ثامن عشرين » .

(٣) للناصر داود ترجمة تفصيلية فى : (الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ٨٤ أ — ٨٧ ب) ، أشار فى نهايتها إلى قصة الناصر مع الخليفة العباسى بما لا يختلف عن المذكور هنا ، ولكنه أضاف إليها أن الناصر عاد من الحجاز مع الحاج العراقى « وقدم بغداد سنة أربع وخمسين ، فأرسل المستعصم من حاسب الناصر على ما وصل إليه فى تردداه إلى بغداد مثل اللحم والخبز والعليق ونحوه ، وثمّن عليه ذلك بأغلى الأثمان ، وأرسل إليه شيئاً نزرا ، وألزمه أن يكتب خطه برد وديعته فكتب خطه كرها ... الخ » .

الملك المظفر شمس الدين يوسف

ابن الملك المنصور نور الدين عمر [بن على](١)

ابن رسول

قام بعد أبيه بملك اليمن فى سنة سبع وأربعين وستمائة .

وحَجَّ سنة تسع وخمسين ، وغسل الكعبة بنفسه ، وطيَّبها ، وكساها من داخلها وخارجها ، وهو أول من كسى الكعبة بعد قتل الخليفة المستعصم ببغداد من الملوك ، وذلك أن الحاج انقطع (٧٨ ب) من العراق عن مكة من سنة خمس وخمسين وستمائة إلى سنة ست وستين(٢) ، فلم يرد من هناك حاج فى هذه المدة ، وقام المظفر بمصالح الحرم وأهله ، وأكثر من الصدقات ونثر على الكعبة الذهب والفضة ، وخُطب له بمكة ، واستمر يُخطب بعده لملوك اليمن(٣) على منبر مكة إلى يومنا هذا بعد الخطبة لسلطان مصر .

ولم تزل كسوة الكعبة التى كساها المظفر من داخلها باقية إلى أن كساها

---

(١) زيادة عن (ل)

(٢) كانت العراق فى هذه السنوات مهددة بخطر الغارات المغولية ، وانتهى الأمر بدخول المغول بغداد والقضاء على الخلافة العباسية بها ، وهذا هو السبب فى انقطاع خروج الحاج العراقى لأداء الفريضة إبان هذه السنوات .

(٣) هذه حقيقة تاريخية هامة تستحق الالتفات ، وقد شهد تاريخ مصر على عهد المماليك صورا من النزاع بين سلاطين المماليك وملوك بنى رسول حول هذا الموضوع ، وهو الخطبة لبنى رسول على منابر مكة .

الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون هذه الكسوة — (١الموجودة اليوم١) — فى سنة إحدى وستين وسبعمائة .

السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى

اشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن نجم الدين [أيوب](٢) وعمله أحد المماليك البحرية بقلعة الروضة(٣) ، فترقى فى خدمته

---

(١) يجب أن تقرأ هذه الجملة على أنها جملة عرضية ، وإلا لفهم منها أن المؤلف كان يكتب هذا الكتاب فى سنة ٧٦١ هـ ، فى حين أنه نص فى نهايته أنه ألفه سنة ٨٤١ هـ ، والمقصود بهذه الجملة العرضية إذن أن كسوة الناصر حسن كانت لا تزال موجودة على الكعبة إلى سنة تأليف الكتاب وهى سنة ٨٤١ هـ

(٢) زيادة عن (ل) .

(٣) أنشأ الملك الصالح قلعة الروضة لمماليكه ، وقد وصفها مؤرخ الأيوبين جمال الدين بن واصل فى كتاب مفرج الكروب (مخطوطة باريس رقم ١٧٠٣ ، ص ١٣٢) وصفاً نادراً شائقاً ، ولهذا الوصف أهميته لأن قلعة الروضة هدمت بعد موت الصالح ، واستخدمت أنقاضها فى إقامة الكثير من منشآت المماليك بالقاهرة ، ولأن ابن واصل كتب هذا الوصف عن مشاهدة فقد كان مقيما بالقاهرة ، وقت انشائها كما كان متصلا ببلاط الصالح نجم الدين ، قال ابن واصل : « بنى بالجزيرة قلعة غرم عليها جملا عظيمة من مال ، وهذه الجزيرة كانت متنزها للملوك ، وكان للملك الكامل فيها قصر يتنزه فيه فى الأحايين ، ومقعد يُعرف بالبانياسى ، فبنى الملك الصالح فيها من الأدر العظام =

واستفاد من أخلاقه ، وتنقّلت به الأحوال حتى ملك مصر بعد قتل الملك المظفر سيف الدين قطز ، وتسلّم قلعة الجبل ليلة الاثنين تاسع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، واستمر ملكه حتى مات بدمشق فى سابع عشر من المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ، وقد ملك مدة سبع عشرة سنة وشهرين واثنى عشر يوماً .

وحَجّ سنة سبع وستين وستمائة ، ولذلك خبر طويل قد ذكرته فى ترجمته من « كتاب التاريخ الكبير المقفى[1] » ، و « كتاب أخبار ملوك مصر[2] » وملخص ذلك أنه أجلس ابنه الملك السعيد محمد بركة خان فى مرتبة الملك وحضر الأمراء فقبلوا الأرض بين يديه ، وجلس الأمير عزالدين أيدمر الحلى

= والقصور مالم يبن مثله ولا أكاسرة العجم فى قديم الزمان ، يحار الناظر ويدهش إذا دخلها ورأى ما فيها من الذهب العظيم والزخرفة الكثيرة والرخام الفاخر ، وجعل فى المقعد المعروف بالبانياسى طاقات عظام بالشبابيك الحديد على البحر ، وشاد رواقين للماء وبينهما بحيرة كبيره كلها معمولة بالرخام الفائق ، ويلى المقعد من جهة الشرق بستان فيه صنوف الحمضيات ، ويخرج من هذا المقعد إلى قاعات مزخرفة فى غاية الحسن ينفد من كل واحدة إلى أخرى ، كثيرة العدد ، وفى آخرها مجلس عظيم برسم مد السماط ، فيه من الذهب والترخيم البديع والخشب المذهب مالا يمكن التعبير عن وصف حسنه ؛ بل خبره أبداً يصغر الخبر عنه ... إلخ » .

(١) انظر ما فات هنا ص ٢٨ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٨٢ .

(٢) المقصود به كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » الذى يقوم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة على نشره منذ سنوات ، وهذه هى أول مرة يشير فيها المؤلف هنا إلى كتابه هذا ، وفى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٧٣ — ٥٨٣) تفصيلات وافية عن إجلاس الملك السعيد فى مرتبة الملك وعن حج بيبرس فى هذه السنة .

— نائب السلطنة — وجلس الأتابك ، والصاحب بهاء الدين على بن حِنّا ، وكتاب الإنشاء ، والقضاة ، والشهود ؛ وحَلَّفَ [له] [١] الأمراء وسائر العساكر فى تاسع صفر منها ؛ وركب فى ثالث عشره فى الموكب كما يركب والده ، وجلس فى الإيوان ، وقرئت عليه القصص ؛ وقُرِئ فى العشرين منه تقليد [٢] بتفويض السلطنة له فى الإيوان ، واستمر جلوسه فيه لقضاء الأشغال ، ووقَّع ، وأطلق ، (١٧٩) وركب فى المواكب .

وأقام السلطانُ الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائباً عنه عوضاً عن الحلى ، وسار إلى الشام فى ثانى عشر جمادى الآخرة بحصة من العساكر ، وترك أكثرها مع ولده الملك السعيد ، ونزل بخربة اللصوص — خارج دمشق — وسار منها متنكراً إلى القاهرة ليشاهد [٣] أحوال ولده ، فخفى ذلك على [جميع] [٤] من معه من العسكر حتى عاد إليهم ؛ وفى حكاية ذلك هنا طولٌ ليس من قصد هذا الجزء .

واتفق الاختلاف بين الشريف نجم الدين أبى نمى و بين عمه الشريف بهاء الدين إدريس أميرى [٥] مكة ، فرتّب السلطان لهما عشرين ألف درهم

---

(١) زيادة عن (ب) و (ل)

(٢) (ل) : « تقرير » ، وما هنا هو الصحيح .

(٣) (ب) « ليرى » .

(٤) زيادة عن (ل)

(٥) الأصل و (ب) : « أمير » والتصحيح عن (ل) و (السلوك) .

نُقْرة[1] فى كل سنة عوضاً عما يؤخذ بمكة من المكوس[2] ، وأن لا يُمنع أحدٌ[3] من دخول الكعبة ، وأن يُخطب له بمكة والمشاعر ، وتضرب السكة باسمه ، فأجاباه ، وكُتب لهما[4] تقليد الإمارة ، وسُلمت أوقاف الحرم بمصر والشام لنوابهما .

وسُلم للشريف قاضى المدينة النبوية وخطيبها ووزيرها — عند ما حضر برسالة الأمير عز الدين جماز أمير المدينة — الجمالُ التى نهبها الأمير أحمد بن

---

(١) كان الأصل فى الدرهم النقرة أنه نوع من العملة الفضية ثلثاه من الفضة وثلثه من النحاس ، ويطبع بالسكة السلطانية بدار الضرب . انظر : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٣ ، ٤٦٦ — ٤٦٧) و (المقريزى : إغاثة الأمة ، نشر زيادة والشيال ، ص ٦٥) و (الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ، ص ١١٣) .

(٢) المكس (والجميع مكوس) الضريبة غير الشرعية ، وقد شرح هذا المصطلح الدكتور زيادة فى تعليقاته على كتاب (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦٧ ، هامش ٤) بقوله : « المكوس جمع مكس ، ومن معانيه فى اللغة العربية الضريبة التى كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق فى الجاهلية (محيط المحيط) ، والمكوس فى مصطلح مؤرخى مصر الإسلامية كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الاقطاعات أو لموظفى الدولة ، خارجا عن الخراج الشرعى ، وتسمى أيضا المال الهلالى ، وقد عرفت هذه الأموال فى مصر باسم المكوس منذ الدولة الفاطمية ، ومن أنواعها ما كان يؤخذ فى الثغور البحرية والبرية على المتاجر الواصلة من الخارج ، وما كان مقررا بالقاهرة والفسطاط على مختلف المحاصيل والمصنوعات والأماكن ، مثل مكس القوافل ، ومكس البهار ، ومكس فندق القطن ، ومكس معدية الجسر بالجيزة ، وغيرها ، انظر أيضا : (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٣ — ١١١ ، ج ٢ ، ص ١٢١ — ١٢٤) و (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٨ — ٤٧١) .

(٣) الأصل : « أحدا » وما هنا صيغة (ل) وهو أصح .

(٤) (ب) : « وكتباله » ، وما هنا هو الصحيح .

حجى لأشراف المدينة — وهى ثلاثة آلاف بعير — ليوصلها لأربابها .

وأنعم على الطواشى جمال الدين محسن الصالحى — شيخ الخدام بالحجرة الشريفة — بمائتى ألف درهم ، وأعاده مع القاضى صحبة الركب الشامى ؛

وقدم الأميرُ شرفُ الدين عيسى بن مهنا إلى الدهليز بالخربة ، فأوهم السلطانُ أنه يريد الحركة إلى العراق ، وأمره بالتأهب ليركب إذا دُعى ، وردّه لبلاده ؛ وكان السلطان فى الباطن إنما يريد الحركة للحجاز لكنه ورّى بالعراق .

فلما دخل شوّال أنفق فى العساكر جميعها ، وجرّد طائفة مع الأمير أقوش الرومى السلاح دار[1] ليكونوا صحبة الركاب السلطانى ، وجرّدَ طائفة مع الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانى الأستادار إلى دمشق ليقيموا ظاهرها .

وتوجّه السلطان للحج ومعه الأمير بدر الدين الخازندار ، وقاضى القضاة صدر الدين سليمان الحنفى ، وفخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب السر ، وتاج الدين بن الأثير ، ونحو ثلاثمائة مملوك ، وعدة[2] من أجناد الحلقة .

---

(١) سلاح دار أى ممسك أو صاحب سلاح السلطان ، وله الإشراف على السلاح خاناه السلطانية ، ويختار عادة من بين الأمراء المقدمين . (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨) .

(٢) (ب) : « وهذه » .

وسار من الغَوْر[١] يوم خامس شوال (٧٩ ب) كأنه يتوجه[٢] إلى الـكَرَك كأنه يتصيد ، ولم يجسر أحد أن يتحدث بأنه متوجه إلى الحجاز وذلك أن الحاجب جمال الدين بن الداية كتب إلى السلطان يسأله : « إنى أشتهى [٣] أن أتوجه[٣] صحبة السلطان إلى الحجاز » ، فأمر بقطع لسانه ، فلم يتفوه أحد بعدها بذلك ؛ فوصل إلى الـكَرَك أول يوم من ذى القعدة ، وكان قد دبّر أموره خفية من غير أن يطلع أحد على شىء مما فعله ، بحيث أنه جَهَّز البشماط[٤] والدقيق والروايا والقرب والأشربة ، وعيّن العربان المتوجهين معه والمرتبين فى المنازل من غير أن يشعر أحد من الخاصة فضلاً عن العامة بذلك ؛ ففرّق فى المجرّدين معه الشعير ، وبعث الثقل فى رابعه ، وتبعه فى سادسه ، فنزل الشَّوْبك ، ورسم بإخفاء خبره .

واستقل بالمسير فى حادى عشره ، وأنفذ البريد إلى قلعة الجبل لمهمات له ، فجهزت الـكتب مع العربان ، وقدم المدينة فى خامس عشريه فلم يقابله الأمير جماز ولا [مالك ، أميرا] المدينة[٥] ، وفرّا منه ، فأعرض عنهما . ورحل

---

(١) (ب) : « الفوار » و (ل) : « النوار » .

(٢) (ب) : « كان متوجها » وما هنا صيغة الأصل و (ل) . وفى (السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨٠) : « وسار السلطان بهم إلى الـكرك كأنه يتصيد » .

(٣) هذان اللفظان غير موجودين فى (ب) .

(٤) البشماط وهو البقسماط (محيط المحيط) .

(٥) الأصل : « ولا ملك المدينة » ، والتصحيح عن (ب) والسلوك ، ج ١ ، ص ٥٨١)

فى سابع عشريه وأحرم فدخل مكة فى خامس ذى الحجة؛ وأعطى خواصه جملة [أموال][1] ليُفرق فى الناس سراً؛ وعمّ أهل الحرمين بالكسوة التى فرّقها؛ وصار كآحاد الناس لا يحجبه أحد، ولا يحرسه إلا الله تعالى، وبقى منفرداً يصلى وحده، [2]ويطوف وحده، ويسعى وحده[2]، فلا يعرفه إلا من يعرفه؛ وغسل الكعبة بيده بماء الورد، وصار بين جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين أجناسهم، وما منهم إلا مَنْ يرمى إليه إحرامه فيغسله بيده ويناوله صاحبه؛ وجلس على باب الكعبة، وأخذ بأيدى الناس ليطلعهم إليها، فتعلق بعض العامة بإحرامه ليطلع فقطعه، وكاد يرمى السلطان عن العتبة إلى الأرض، وهو مستبشر بجميع ذلك.

وعلّق كسوةَ الكعبة بيده — ومعه خواصه — وتردَّد إلى مَنْ بمكة والمدينة من أهل الخير يلتمس بركتهم، ويسأل دعاءهم؛ هذا وقاضى القضاة صدر الدين [سليمان بن عبد الحق الحنفى][3] معه طول طريقه يستفتيه، ويتفهم منه أمور دينه، ولم [4]يغفل مع ذلك عن تدبير الممالك[4]، وكتّاب الإنشاء تكتب عنه[5] فى المهمات.

---

(١) الأصل: « مال »، وما هنا صيغة (ب) و (ل).

(٢) هذه الفقرة ساقطة من (ب).

(٣) زيادة عن (السلوك، ج ١، ص ٥٨١).

(٤) الأصل و (ب) : « ولم يغفل عن ذلك ولا عن تدبير الملك » وما هنا صيغة (ل) و (السلوك).

(٥) (ب): « عنده ».

وكتب (١٨٠) إلى صاحب اليمن ينكر عليه أموراً ويقول :

« سطرتها من مكة المشرفة وقد أخذتُ طريقها فى سبع عشرة خطوة »

— يعنى بالخطوة : المنزلة — ويقول : « الملك هو الذى يجاهد فى الله[1] حق جهاده[1] ، ويبذل نفسه فى الذبِّ عن حوزة الدين ، فإن كنت ملكا فاخرج والق التتر » .

وأحسن إلى أميرىْ مكة ، وإلى أمير ينبع ، وأمير خُلَيْص ، وأكابر الحجاز .

وكتب منشورين لأميرى مكه ، ورتّب معهما الأمير شمس الدين مروان [نائب][2] أمير جاندار يقيم معهما بمكه حسب سؤالهما ، ليكون مرجع الأمور إليه ، والحل والعقد على يديه ؛ وزاد أميرى مكه مالًا وغلالا فى كل سنة لأجل تسبيل الكعبة [للناس][3] .

وسار من مكة بعد قضاء النسك فى ثالث عشره ، وقدم المدينة النبوية ثانياً فى عشرينه ، فبات بها ، وسار من غده ، فجدَّ فى السير ومعه عدة يسيرة ، فقدم الكَرَكَ بكرة يوم الخميس سلخه من غير أن يعلم أحد بوصوله حتى نزل مشهد جعفر [الطيار رضى الله عنه][4] بقرية مؤتة ، فتلقاه الناس

---

(١) هذان اللفظان ساقطان من (ب) .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ل) و (ب) و (السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨٢) .

(٣) زيادة عن (ب) و (ل) و (السلوك) .

(٤) زيادة عن (ب) و (السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨٢) .

بها ، ودخل المدينة وعليه عباءته التى سار بها ، وهو راكب راحلته ، فبات بها .

ورحل من الغد بعد ما صلى الجمعة ، مستهل المحرم سـنة ثمان وستين وستمائة ، ومعه مائة فارس ، بيد كل فارس منهم فرس[١] وساق إلى دمشق وسائر مَنْ ببلاد مصر والشام من الأمراء ومن دونهم لا يعرفون شيئاً من خبر السلطان ، هل هو فى الشام أو الحجاز أو غير ذلك من بلاد الله[٢] ، ولا يجسر أحد من شدة مهابته والخوف منه أن يتكلم بشىء من خبره ، ولا يسأل [عنه][٣] .

فلما قارب دمشق بعث أحد خاصته على البريد بكتب البشـارة إلى دمشق بالسلامة بعد قضاء الحج ؛ فلما دخل الأمير جمال الدين النجيبى — نائب دمشق — جمع الأمراء لقراءة الـكتب السلطانية ، فبينما هم فى القراءة إذ قيل لهم : « قد نزل السلطان بالميدان » ، فبادروا إلى لقائه ، فإذا به وحده وقد[٤] أعطى فرسه لبعض دلالى[٥] سوق الخيل لينادى عليه

---

(١) كذا فى جميع الأصول و (السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨٣) ، ولعلها « قوس » .

(٢) (ل) : « بلاد الناس »

(٣) زيادة عن (ب) .

(٤) صيغة (ب) : « فإذا به وأعطى » .

(٥) فى (السلوك) : « لبعض منادية سوق الخيل » .

وهو لا يعرفه أنه السلطان ، فعند ما شاهدوه قبّل النائب الأرضَ ، وتلاه الأمراء .

وحضر الأمير آق سنقر الفارقانى ومن[1] معه من عسكر مصر ؛ فأكل السلطان شيئاً ، وقام ليستريح ، وانصرف الناس .

(٨٠ ب) فركب فى نفر يسير ، وتوجه خفية يريد حلب ، فلما حضر الأمراء خدمة العصر[2] لم يجدوا السلطان ولا عُرف له خبر ، فبينما نائب حلب والأمراء فى الموكب تحت قلعة حلب و إذا بالسلطان قد ساق ووقف ساعة فلم يعرفه أحد ، حتى فطن به بعضهم ، فنزل عن فرسه وقبّل له الأرض فبادر الجميع ونزلوا[3] وقبّلوا الأرض ، وساروا فى ركابه حتى دخل دار نائب حلب ، ثم كشف القلعة ، وخرج من حلب ولم يعرف أحد به ؛ فدخل [دمشق][4] فى ثالث عشره على حين غفلة ، ولعب بالكرة ؛ وسار ليلاً إلى القدس ، وسار إلى الخليل ، وتصدّق بعدة صدقات .

وكان الأمير آق سنقر قد سار بمن معه من عساكر مصر ونزل تل العجول[5] ، فوافاه السلطان هناك — وعليه عباءته التى حجّ بها لم يغيرها

(١) هذا اللفظ ساقط من (ب) و (ل) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى (ب) : « القصر »

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٤) زيادة عن (ب) .

(٥) فى الأصل : « تل عجلون » ، وماهنا عن (ب) و (ل) و (السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨٣)

وسار من تل العجول[١] بالعسكر فى حادى عشرينه .

وقدم القاهرة أول صفر ، وعليه عباءته التى حجّ بها لم يغيرها نحو خمسة وسبعين [يوما][٢] ، فخرج الملك السعيد إلى لقائه ؛ وصعد قلعة الجبل .

السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى

وُلد يوم السبت نصف المحرم سنة ربع وثمانين وستمائة ؛ وأقيم فى السلطنة بعد قتل أخيه الأشرف صلاح الدين بن قلاوون[٣] فى رابع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين ، وعمره تسع سنين تنقص يوما واحداً ؛ وأقام سنة إلا ثلاثة أيام ، وخُلع بمملوك أبيه زين الدين كتبغا — الملك العادل — فى حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين .

---

(١) انظر حاشية ٥ فى الصفحة السابقة .

(٢) زيادة عن (ب) و (ل)

(٣) (ب) : « إلى » .

وأُخرج مع أمه أُشْلُون بنت سكناى[1] إلى الكرك ، فثار الأمير حسام الدين لاچين المنصورى نائب السلطنة على العادل كتبغا ، وتسلطن عوضه ، فثار عليه طغى وكرجى ، فقتلاه وقُتِلا أيضاً .

واستدعى الناصر من الكَرَك فتقدم[2] إلى قلعة الجبل ، وأعيد إلى السلطنة مرة ثانية فى سادس جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين ، فأقام عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوما ، محجوراً عليه لا يملك التصرف فى أكلة طعام يشتهيه ، والقائم بتدبير الدولة (١٨١) الأميران : بيبرس الجاشنكير[3] استادار السلطان ، وسلّار نائب السلطنة ؛ فدبّر لنفسه فى سنة ثمان وسبعمائة ، وأظهر أنه يريد الحج بعياله ، فوافقه الأميران على ذلك ، وشرعوا فى تجهيزه ، وكتب إلى دمشق والكَرَك برمى الإقامات ، وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير .

فلما تهيّأ ذلك أحضر الأمراء تقادمهم من الخيل والجمال فى العشرين

---

(١) (ل) : « أسلون بنت شكراى » ، والأصل : « بنت شكناى » ، وقد ضبط الاسم بعد مراجعة (السلوك ، ج ١ ، ص ٧٠٩) حيث ذكر هناك أن هذا الأمير اسمه سكناى بن قراجين بن جنعان نوين ، وأن هذا الأمير التترى وفد على مصر سنة ٦٧٤ فى عهد الملك الظاهر بيبرس .

(٢) (ب) و (ل) : « فقدم » .

(٣) الجاشنكير كلمة فارسية تتكون من لفظين : الأول جاشنا ومعناه الذوق ، والثانى كير ومعناه المتعاطى ؛ وكانت وظيفة الأمير الجاشنكير أن يقوم بذوق المأكول والمشروب قبل السلطان خوفا من أن يدس عليه فيه سم أو نحوه . انظر : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٠) .

من شهر رمضان فقبلها ، وركب فى خامس عشر منه من القلعة ومعه الأمراء إلى بركة الحج[(١)] .

وتعيَّن معه للسفر أيدمر الخطيرى ، والحاج آل ملك الجوكندار ، وقرالاچين أمير مجلس ، و بلبان أمير جاندار ، وأيبك الرومى أمير سلاح ، و بيبرس الأحمدى ، وسنجر الجمقدار ، و يقطاى الساقى ، وسنقر السعدى [النقيب][(٢)] ، وخمسة وسبعون[(٣)] مملوكا ؛ وعاد بيبرس وسلاَّر من غير أن يترجلا [له][(٢)] عند نزوله بالبركة ، فرحل من ليلته ، وعرَّج على الصالحية وعيَّد بها .

وتوجه إلى الكَرَك فقدمها فى عاشر شوال ، و بها الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى نائبًا ، فنزل بقلعتها ، وصرح بأنه قد انثنى عزمه عن الحج واختار الإقامة بالكَرَك ، وترك السلطنة ليستريح ، وكتب إلى الأمراء بذلك ، وسأل أن يُنعم عليه بالكَرَك والشوْبك .

وأعاد مَن كان معه من الأمراء ، وأسلمهم الهجن — وعدتهم خمسمائة هجين — والمال والجمال ، وجميع ما قدمه [له][(٢)] الأمراء ، وأخذ ما كان

---

(١) هى بركة الجب ، وقد عرفها (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ — ٢٦٧) بقوله : « هذه البركة في الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها ، عرفت أولا بجب عميرة ، ثم قيل لها أرض الجب ، وعرفت اليوم ببركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم ... الخ » .

(٢) زيادة عن (ب) و (ل) .

(٣) الأصل و(ل) « وسبعين » والتصحيح عن (ب) .

من المال بالكرك — وهو ستمائة ألف درهم فضة وعشرون ألف دينار — وأمر نائب الكرك أيضاً بالمسير عنه [فسار](١) إلى مصر .

وتسلطَنَ بيبرس الجاشنكير ، وتلقب بالملك المظفر ، وكتب للناصر تقليداً(٢) بنيابة الكرك ، وجهزه مع الحاج آل ملك ؛ فأظهر الملكُ الناصرُ البِشْر ، وخُطب باسم المظفر على منبر الكرك ، وأنعم على الحاج آل ملك وأعاده ، فلم يتركه المظفر ، وأخذ ينا كده ، ويطلب منه مَن معه من المماليك الذين اختارهم للإقامة عنده ، والخيول التى أخذها من قلعة الجبل ، والمال الذى أخذه من الكرك ؛ وهدده بتجهيز العساكر إليه وأخذه ، فحنق لذلك ، وكتب لنواب الشام يشكو ما هو فيه ، فحثوه على القيام لأخذ ملكه ، ووعدوه بالنصر ، فتحرك لذلك ، وسار إلى (٨١ ب) دمشق(٣) ، وأتته النواب .

وقدم إلى مصر ، ففرّ بيبرس ، وطلع الناصر القلعة يوم عيد الفطر سنة تسع(٤) وسبعمائة ، فأقام فى الملك اثنين وثلاثين سنة وشهرين وعشرين يوماً

---

(١) زيادة عن (ب) و (ل)

(٢) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٣) الأصل : « إلى الشام دمشق » ، وما هنا عن (ب) و (ل) .

(٤) الأصل : « سبع وسبعمائة » ، والتصحيح عن (ل) و (ب) . فإن تسلطن الناصر محمد المرة الثالثة بدأ سنة ٧٠٩ هـ . انظر : (المقريزى : السلوك ، ج ٢ ، ص ٧٢ — ٧٣) .

ومات فى ليلة الخميس حادى عشرين ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، وعمره سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام .

ومدة سلطنته فى المدد الثلاث ثلاث وأربعون سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام ؛ وحجّ فيها ثلاث مرات :

الأولى فى سنة ثنتى عشرة وسبعمائة ، وسببها أن خربندا تحرك لأخذ الشام ، ونزل على الفرات ، فخرج السلطان بعساكر مصر فى ثالث شوال ، وسار إلى الصالحية ، فقدم البريد من حلب ودمشق برحيل خربندا عن الرحبة يوم عيد الفطر يريد بلاده ، فسُرّ السلطان بذلك وعزم على الحج ، ودخل دمشق فى ثالث عشرينه ، وفرّق العساكر فى الجهات ، وركب فى أربعين أميراً وستة آلاف مملوك[١] على الهجن فى أول ذى القعدة وأخذ معه مائة فرس ، فقضى نسكه ، وعاد إلى دمشق بعد مروره بالمدينة النبوية ودخوله الكرك ، فدخل فى حادى عشر المحرم سنة ثلاث عشرة وهو راكب ناقة لطيفة القد بعمامة مدوّرة ولثام ، وعليه بِشْت[١] من أبشات العرب ، وفى يده حربة .

وتلقاه شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية وسائر الفقهاء وجميع

---

(١) الأصل : « مملوكا » ، والتصحيح عن (ب) و (ل) .

(٢) البِشْت أو البُشْت — والجمع أبشات وبشوت — هو العباءة من الصوف بلونه الطبيعى . راجع (Dozy : *Supp. Dict. Ar.*) .

الناس ، فكان يوماً مشهوداً ، بلغ كرا دار التفرج على السلطان ستمائة درهم فضة ، ثم سار إلى مصر ، وصعد قلعة الجبل فى ثانى عشر صفر .

ثم حج[١] فى سنة تسع عشرة وسبعمائة ، فلما تحرك لذلك أتته تقادم الأمراء وسائر نواب الشام[٢] وأمراء دمشق وحلب ، وأول من بعث تقدمته الأمير تنكز — نائب الشام[٢] — وفيها الخيل والهجن بأكوار[٣] الذهب ، والسلاسل من الذهب والفضة ، وجميع المقاود والمخاطم والآلات من الحرير الملون المحكم الصنعة ، ثم تقادم الملك المؤيد عماد الدين — صاحب حماة — ثم تلاه الأمراء .

وشرع القاضى كريم الدين عبد الكريم — ناظر الخاص — فى تجهيز ما يحتاج إليه ، وخرج إلى ناحية سرياقوس ، وصار يقف وهو (١٨٢ ا) مشدود الوسط أو يجلس على كرسى ، وسائر أرباب الوظائف

---

(١) أشار (المقريزى : السلوك ، ج ٢ ، ص ١٩٥ وما بعدها) إلى حج السلطان الناصر محمد فى هذه السنة بشىء من التفصيل ، ويعنينا مما ذكره هناك ولم يشر إليه هنا أن الناصر لما عزم على الحج فى هذه السنة تقدم إلى كريم الدين الكبير بتجهيزه والسفر إلى الإسكندرية لعمل ثياب أطلس برسم كسوة الكعبة . وهذا نص هام يدل على أن دور الطراز فى الإسكندرية بدأت فى عهد الناصر تصنع كسوة الكعبة ، فإن النصوص التى بين أيدينا تشير إلى أن الكسوة كانت تصنع دائما وفى مختلف العصور فى دور الطراز بتنيس أو شطا أو دبيق أو دمياط .

(٢) ما بين الرقمين ساقط من (ب) .

(٣) الكور — والجمع أكوار — الرحل يوضع على ظهر الخيل أو الإبل . (محيط المحيط) .

فى خدمته وهو يرقب الأمور ، فعمل عدة قدور من فضة ونحاس تُحمل على البخاتى ليطبخ فيها ، وأحضر الخَوَلَة لعمل مباقل وخضروات ورياحين ومشمومات فى أحواض خشب لتُحمل على الجمال وتُسقى طول الطريق ، ويؤخذ منها كل يوم ما يُحتاج إليه[١] ، ورتب الأفران وقلاّئى الجبن وصنّاع الكماج[٢] والسميذ وغير ذلك مما يحتاج إليه ، وأعطى العربان أجر الجمال التى تحمل الشعير والبشماط[٣] والدقيق ، وجهز مركبين فى البحر إلى الينبع ومركبين إلى جدّة ، بعد ما اعتبر كلفة العليق بأوراق كتب فيها أسماء اثنين وخمسين أميراً ، منهم من له فى اليوم مائة عليقة ، ومنهم من له خمسون[٤] ، وأقلّهم مَن له عشرون[٥] عليقة ، فكانت جملة الشعير المحمول مائة ألف أردب[٦] وثلاثين ألف أردب[٦] .

---

(١) بعد هذا اللفظ فى (السلوك ، ج ٢ ، ص ١٩٦) : « فيها من البقل والكرات والكزبرة والنعناع والريحان وأنواع المشمومات شىء كثير » . ولكن يلاحظ أيضاً أن وصف الاستعدادات للحج هنا فيه تفصيلات هامة لم يرد ذكرها فيما كتبه المقريزى فى تاريخه الكبير (السلوك) .

(٢) الكماج — والمفرد كماجة — فارسية ، معناها الخبز الشديد البياض يعجن بغير خميرة ويخبز على الرماد . انظر : (محيط المحيط) و (Dozy : *Supp. Dict. Ar*)

(٣) انظر مافات هنا ص ٩٠ ، هامش ٤ .

(٤) الأصل : « خمسين » والتصحيح عن (ب) و (ل) .

(٥) الأصل : « عشرين » والتصحيح عن (ب) و (ل) .

(٦) هذه الفقرة ساقطة من (ب) .

وجهز من الشام خمسمائة جمل تحمل الحلوى والسكردانات[١] والفواكه وحضرت أيضاً حوائج خاناه على مائة وثمانين جملا تحمل الحب، رمّان واللوز وما يحتاج إليه فى المطبخ ، سوى ما حُمل من الحوائج خاناه من القاهرة ؛ وجهز ألف طائر أوز وثلاثة آلاف طائر دجاج .

فلما تهيأ ذلك ركب السلطان مستهل ذى القعدة ، ومعه المؤيد — صاحب حماة — وقاضى القضاة [بدر الدين][٢] محمد بن جماعة الشافعى بعد ما مُهدت عقبة أيلة من الصخور ، ووُسع مضيقها بعد ما كان سلوكه صعبا[٣] ، وفتح مغارة شعيب .

فلما قدم مكة أظهر [من][٤] التواضع والذلة والمسكنة أمراً زائداً ، وسجد عند معاينته البيت سجود عبد ذليل ؛ ثم التفت إلى الأمير بدرالدين جنكلى بن البابا ، وقال : « لا زلتُ أعظِّم نفسى حتى رأيتُ البيتَ فذكرتُ تقبيل الناس الأرض لى ، فدخل قلبى مهابةٌ عظيمة لم تزُل حتى سجدتُ لله تعالى شكراً » .

---

(١) السكردان — والجمع السكردانات — لفظ فارسى مركب ، معناه الوعاء المستعمل لحفظ الحلوى . راجع : (Dozy : *Supp. Dict. Ar*) .

(٢) زيادة عن (ل) و (السلوك ، ج ٢ ، ص ١٩٧) .

(٣) الأصل : « صعب » ، وفى (ب) و (ل) : « مشقا » .

(٤) زيادة عن (ب) .

وتقدم إليه ابن جماعة[١] وحسّن له أن يطوف راكباً فإن النبى — صلى الله عليه وسلم — طاف راكباً ، فقال : « يا قاضى ، ومن أنا حتى أتشبه بالنبى — صلى الله عليه وسلم — ؟ والله لا طفتُ إلا كما[١] يطوف الناس » ؛ فطاف من غير أن يكون معه أحد من الحجاب ، فصار الناس يزاحمونه ويزاحمهم[٢] كواحد منهم حتى قضى طوافه (٨٢ ب) وسعيه .

وكان قد حجّ جماعة من المغل[٣] فأحضرهم وأنعم عليهم إنعاماً زائداً وأمر أن تُكسى الكعبة بالحرير الأطلس ، وأخرج الثياب للصناع[٤] فعملوها .

وفرّق فى أهل مكة مالا عظيما ، وأفاض التشاريف على أمراء مكة وأرباب وظائفها وأمير ينبع وأمير خُلَيْص ، وأنعم عليه بخمسة آلاف درهم

---

(١) ما بين الرقمين ساقط من (ب) .

(٢) هذا اللفظ ساقط من (ب) .

(٣) نص (السلوك ، ج ٢ ، ص ١٩٧) أكثر إيضاحا وهو : « وبلغه أن جماعة من المغل ممن حج قد اختفى خوفاً منه ، فأحضرهم وأنعم عليهم وبالغ فى إكرامهم »

(٤) أضاف (المقريزى : السلوك ، ج ٢ ، ص ١٩٨) حادثة طريفة هامة حدثت للأمير كريم الدين الكبير أثناء إشرافه على العمال الذين يكسون الكعبة ، قال: « وفيه اتفقت موعظة ، وهى أن السلطان بالغ فى تواضعه بمكة ، فلما أخرجت الكسوة لتعمل على البيت صعد كريم الدين الكبير إلى أعلا الكعبة بعد ما صلى بجوفها ، ثم جلس على العتبة ينظر إلى الخياطين ، فأنكر الناس استعلاءه على الطائفين ، فبعث الله عليه نعاسا سقط منه على أم رأسه من علو البيت ، فلو لم يتداركوه من تحته لهلك ، وصرخ الناس من الطواف تعجباً من ظهور قدرة الله فى إذلال المتكبرين ، وانقطع ظفر كريم الدين ، وعلم بذنبه فتصدق بمال جزيل » .

برسم عمارة عين خليص ، وكان لها عدة سنين قد انقطعت وجعل[١] ذلك مقرراً فى كل سنة برسم عمارتها[٢] .

واجتمع عند السلطان من العربان ما لم يجتمع لملك قبله ، وهم : سائر بنى مهدى وأمرائها ، وشطا[٣] ، وأخوه عساف ، وأولاده ، وأمراء مكة وأشرافها ، وأمراء المدينة ، وصاحبا[٤] ينبع وخليص ، و بنى لام وعرب حوران وكبارها ، وأولاد مهنا ؛ وصاروا يعملون عليه إدلالاً زائداً[٥] بحيث قام فى بعض الأيام ابن لموسى بن مهنا . وقال للسلطان : « يابا على ،

---

(١) الأصل : « وجعلت » ، وما هنا عن (ب) .

(٢) فصل (المقريزى : السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٠٠) الحديث عن عين خليص وعمارتها ، قال : « وفيها (أى سنة ٧٢٠) عاد السلطان من الحجاز بعد ما مر بخليص وقد جرى الماء إليها ، وكان قد ذكر له وهو بمكة أن العادة كانت جارية بحمل مال إلى خليص ليجرى الماء من عين بها إلى بركة يردها الحاج ، وقد انقطع ذلك منذ سنين ، وصار الحاج يجد شدة من قلة الماء بخليص ، فرسم بمبلغ خمسة آلاف درهم لإجراء الماء من العين إلى البركة ، وجعلها مقررة فى كل سنة لصاحب خليص ، فأجرى صاحب خليص الماء قبل وصول السلطان إليها ، واستمر حمل المال إليه فى كل سنة ووُجد الماء فى البركة دائماً » .

(٣) (ب) و (السلوك) : « وشطى » .

(٤) الأصل : « صاحبى » .

(٥) عبارة (السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٠١) أكثر إيضاحا وهى : « وأكثروا من الدالة على السلطان ، وجروا على عوائدهم العربية من غير مراعاة الآداب الملوكية وهو يحتملهم ، بحيث أن موسى بن مهنا ... الخ » .

بحياة هذه — ومدَّ يده إلى لحية السلطان ومسكها — إلا أعطيتنى الضيعة الفلانية ؟ » .

فصرخ فيه الفخر ناظر الجيش وقال : « ارفع يدك ، قطع الله يدك ، والك يا ولد الزنا[١] ، تمد يدك إلى السلطان ! » .

فتبسم السلطان وقال : « يا قاضى ، هذه عادة العرب إذا قصدوا كبيراً فى شىء يكون عظمته عندهم مَسك ذقنه[٢] — يعنى أنه قد استجار به — فهو عندهم سُنّة » ؛ فقام[٣] الفخر مغضباً وهو يقول : « والله إن هؤلاء مناحيس ، وسُنَّتهم أنحسُ منهم ، لا بارك الله فيهم » .

وصلى[٦] السلطان الجمعة بمكة ، فدُعى له وللشريف فقط ، ولم يُدعَ لصاحب اليمن[٤] تأدباً مع السلطان .

وقضى نسكه ، وسار إلى المدينة النبوية ، وصلى[٥] بها الجمعة أيضاً ، وأقام يومين حتى قدم الركب ، و بعث المبشرين إلى مصر والشام ؛ وسار إلى ينبع فلم يجد المراكب وصلت ، فحصلت مشقة زائدة من قلة العليق ، ومشى أكثر المماليك لوقوف الجمال حتى أتت الإقامات من مصر والشام[٦]

---

(١) (ب) : «زنا» . وعبارة (السلوك) : « والك ! تمد يدك الى السلطان؟ »

(٢) فى (السلوك) : « لحيته » .

(٣) (ب) : « فقال » .

(٤) راجع مافات هنا ، ص ٨٤ ، هامش ٣ .

(٥) (ب) : « وصار » .

(٦) هذه الفقرة تتضمن تفاصيل هامة لم يرد ذكرها فى كتاب السلوك .

ونزل السلطان بركة الحاج[1] فى ثانى عشر المحرم سنة عشرين وسبعمائة ، فعمل له سماط عظيم جداً ، وركب فى موكب جليل إلى القلعة فكان يوماً مشهوداً .

وجلس[2] يوم الخميس نصف المحرم بدار العدل ، فخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف وأمراء العربان .

وحَجَّ ثالثاً فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، ورسم بسفر (١٨٣) الخواتين وبعض السرارى ؛ وكتب لنائب الشام بتجهيز ما يحتاج إليه ، فوصلت التقادم على العادة من النواب [وأمراء][3] الشام وأمراء العربان ؛ وطلب سائر صناع مصر لعمل الاحتياجات

وخرج المحمل على العادة ، وأمير الركب الأمير عز الدين أَيْدَمُر الخطيرى ، فرحل فى عشرين شوال .

وركب السلطان فى سبعين[4] أميراً من قلعة الجبل يوم الخامس والعشرين منه ، وسفَّر الحريم مع الأمير سيف الدين طقزتمر[5] ، فلما

---

(١) انظر ما سبق هنا ص ٩٧ ، هامش ١ .

(٢) (ب) : « وجلس » .

(٣) زيادة عن (ب) .

(٤) أورد (المقريزى : السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٥١ — ٣٥٢) أسماء هؤلاء الأمراء . راجع أيضاً : (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ١٠٢ — ١٠٤) .

(٥) كذا فى الأصل ، وهو فى (السلوك) : « طَقْتَمُر » .

قارب عقبة أيلة بلغه أن الأمير بكتمر الساقى على نية المحاصرة فهمَّ بالرجوع وبعث ابنه أنوك وأمه إلى الكرك .

ثم قوى عزمه على المسير ، فسار وهو محترز ، ورسم أن كلاًّ من الأمراء يحضر باب الدهليز بثلاثين مملوكا ، فصار الجميع ينامون وعُددهم تحت رؤوسهم ، وكل(١ أحد مشتمل عليه زردية(١) ، وسيفه متقلد به ، وترسه على كتفه ؛ وترك السلطان النوم فى مبيته .

فلما وصل إلى ينبع تلقاه الشريف أسد الدين رميثة — أمير مكة — بينبع ومعه القواد والأشراف ، فأكرمه ورحّب به ، وتوجّه حتى نزل خُلَيص ، ففر عند الرحيل ثلاثون مملوكا ، فاهتم السلطان [لذلك](٢) وسار حتى قدم مكة ، وجرى على عادته فى التواضع لله تعالى .

وكثرت الصدقات على أهل مكة والإنعام على الأمراء والأجناد ، وقضى نسكه .

وبعث الأمير أيتمش المحمدى ومعه مائة حجّار إلى العقبة . فوسّعها ونظّمها .

ودخل السلطان المدينة النبوية ، فهبت بها رياح عاصفة قلعت الخيم ،

---

(٢) صيغة (ب) : « والأحمدى مستمر زدرية » ولا معنى لها ، وصيغة (ل): والأحمدى مستمر عليه زردية وسيفه » ، ولم أستطع تقويم النص لأن الحقائق الواردة فى هذه الفقرة لم يشر إليها المقريزى فى كتابه السكبير السلوك .

(٣) زيادة عن (ب) و (ل) .

وأظلم الجو، وصار كل أحد يهجم على غير خيمته ولا يعرف موضعه، فانزعج السلطان انزعاجاً زائداً، وخاف من أن يفتك به أحد ويغتاله، ووقع الصياح فى الوطاقات[١]، وكان أمراً مهولا طول الليل حتى طلع الفجر [فانجلى ذلك][٢].

وحضر أمراء العربان بالمماليك [الهار بين][٣] عن آخرهم، ورحل عن المدينة، فتوعك أحمد بن الأمير بكتمر الساقى، ومات بعد أيام، ولم يقم بعده بكتمر إلا ثلاثة أيام، ومات أيضاً بالقرب من عيون القصب؛ فتحدث الناس أن السلطان سقاهما[٤]، فدُفنا بعيون القصب[٥]، ثم نُقِلا إلى تربة بكتمر بالقرافة.

---

(١) الوطاق — والجمع وطاقات — لفظ معرب، وأصلها بالتركية (أوتاق أو أوطاق أو أوتاغ) ومعناها: الخيمة أو مجموعة الخيام أو المعسكر أو الفرقة. انظر: (Dozy : *Supp. Dict. Ar.*).

(٢) زيادة عن (ب) و (ل).

(٣) الأصل: «الهرابين»، وما هنا صيغة (ب) و (السلوك، ج ٢، ص ٣٥٩).

(٤) انظر تفاصيل المؤامرة التى انتهت بقتل بكتمر وابنه أحمد فى: «السلوك، ج ٢ ص ٣٦٤ — ٣٦٥) و (النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٠٥ — ١٠٧).

(٥) عيون القصب منزلة فى طريق الحج المصرى ببلاد الحجاز بين العقبة والمويلح قريبة من شاطئ البحر الأحمر، على بعد ثمانين كيلو متراً شمال المويلح، فى مكان يخرج فيه الماء بين جبلين فينبت حوله من القصب الفارسى وغيره شىء كثير، ولهذا عرفت بعيون القصب. راجع: (ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٧١٠، هامش ٢).

وسار السلطان وقد اطمأن بعدما كان خائفاً [فزعاً][1] ، فقدم بركة (٨٣ ب) الحاج يوم السبت ثانى عشر المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وصعد القلعة فى موكب عظيم لم يُرَ مثله ، ومشى على شقاق الحرير بفرسه وهو ضارب اللثام.

وفرح الناس به فرحاً زائداً ، ودُقّت البشائر وطبلخانات الأمراء[2] ثلاثة أيام، وعُملت الأفراح .

وجلس فى يوم الاثنين ، وخلع على سائر الأمراء والمقدمين ، وأنعم إنعاماً عظيماً .

---

(١) زيادة عن (ب) و (ل) .

(٢) الأصل : « والطبلخانات والأمراء » والتصحيح عن (ل) .

مَنْسا(١) موسى ملك التَّكْرُور(١)

أول من حج من ملوك التَّكْرُور

[ويقال إن أول من أسلم منهم ملك اسمه(٢)] سِرْمَنْدانه(٣) — ويُقال بَرِمَنْدانه(٢) .

ثم حج منساولى بن مارى بن جاطة(٤) فى أيام الملك الظاهر بيبرس ،

---

(١) هكذا ضبط اللفظين (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٨٦ وما بعدها) وذكر ماملخصه أن بلاد التكرور تقع فى أقصى جنوب بلاد المغرب ، وهى جزء من إقليم غانة الحالى ، وقال إن « منسا » بلغتهم معناها السلطان . وقال (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٦ ، ص ١٤) عند تفسيره لفظ « كانم » : « وكانم جنس من السودان وهم بنو عم تكرور ، وكل واحدة من هاتين القبيلتين لاتنسب الى أب ولا أم ، وإنما كانم اسم بلدة بنواحى غانة ، وهى دار ملك السودان الذين بجنوب الغرب ، فسمى هذا الجنس باسم هـذه البلدة ، وتكرور اسم للأرض التى هم فيها ، وسمى جنسهم باسم أرضهم » .

(٢) هذا الاسم الثانى هو الصحيح ، ولم أجد مرجعاً آخر ذكر الاسم الأول ، وقد ضبط الاسم الثانى الصحيح بعـد مراجعة (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٣) وعنه نقلت الجملة الأولى التى بين الحاصرتين ، فبها يصبح لوجود الاسم هنا معنى ، ولعلها سقطت من الأصول عند النسخ ، وقال القلقشندى بعد الجملة السابقة : « ثم حج بعد إسلامه ، فاقتفى سنته فى الحج ملوكهم من بعده » .

(٣) كذا فى الأصل ، وهى فى (ل) و (ب) : « سربندانة » .

(٤) فى الأصل : « حاطه » ، وقد صحح الاسم بعد مراجعة المرجع السابق ، حيث ذكر أنه أتى بعد برمندانة ملك اسمه « مارى جاطة » وقال إن « مارى » معناها بلغتهم الأمير الذى يكون من نسل السلطان ، وأن « جاطة » معناها الأسد ، فيكون معنى اسمه =

ثم حجّ ساكَبُوره(١) ، وكان قد تغلب على ملكهم ، وفتح بلاد كَوْكَو(٢)

ثم حج مَنْسا موسى(٣) لما قدم إلى مصر سنة أربع وعشرين(٤)

= « الأمير الأسد » ؛ واستطرد القلقشندى بعد هذا فقال إنه ولى بعده ابنه « منساولى » و « ولى » بلغتهم معناها « على » ، فيكون اسمه « السلطان على » ؛ وقال إنه كان من أعظم ملوكهم ، وأنه حج أيام الظاهر بيبرس صاحب مصر .

(١) فى الأصل : « ساكورة » والتصحيح عن (المرجع السابق ، ص ٢٩٤) حيث ذكر أسماء سلاطين التكرور من نسل « مارى جاطة » ، ثم قال : « ثم تغلب على الملك مولى من مواليهم اسمه « ساكبورة » ، ويقال « سيكرة » ، فاتسع نطاق مملكته ، وغلب على البلاد المجاورة ، وفتح بلاد كوكو واستضافها إلى مملكته ، واتصل ملكه من البحر المحيط الغربى إلى بلاد التكرور ، فقوى سلطانه ، وهابه أمم السودان ورحل إليه التجار من بلاد المغرب وأفريقية ، وحج أيام السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، ورجع فقتل فى إثر عودته .

(٢) هكذا ضبطها (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٨٥) ، وقال إنها أحد الأقاليم الخمسة التى تكون بلاد مالى ، والأقاليم الأربعة الأخرى هى : إقليم مالى ، واقليم صوصو ، وإقليم غانة ، وإقليم التكرور ؛ وقال إن قاعدة هذا الإقليم مدينة كوكو ، ونقل عن ابن سعيد أن صاحب تلك البلاد كافر يقاتل مَنْ غربيه من مسلمى غانة . ومَنْ شرقيه من مسلمى الكانم .

(٣) قال (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٤) أنه منسا موسى ابن أبى بكر ، وأنه كان رجلا صالحا وملكا عظيما ، له أخبار فى العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة فى أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد ؛ وله ترجمة فى (ابن حجر الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٨٣ — ٣٨٤) جاء فيها أن اسمه « موسى بن أبى بكر سالم ، وجاء فى (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١١٢) أن اسمه « الملك الأشرف موسى بن أبى بكر » .

(٤) ذكر (المقريزى : السلوك ، ج ٢ ، ص ١٤٥) أن منسا موسى عند قدومه مصر أقام تحت الأهرام ثلاثة أيام فى الضيافة ، ثم عدى إلى بر مصر يوم الخميس سادس عشرى رجب . أما (ابن كثير : المرجع السابق) فقال إنه قدم إلى القاهرة بسبب الحج فى خامس عشرى رجب ، فنزل بالقرافة ، ومعه من المغاربة والخدم نحو من عشرين ألفا .

وسبعمائة بهدايا جليلة وذهب كثير ، فأرسل السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون المهمندار لتلقيه ، وركب به إلى القلعة في يوم الخدمة ، فامتنع أن يقبِّل الأرض [١] ، وقال للترجمان : « أنا مالكى المذهب ، ولا أسجد لغير الله » ؛ فأعفاه السلطان من ذلك ، وقرَّبه وأكرمه ، وسأله عن سبب مجيئه ، فقال : « أردتُ الحج » ، فرسم للوزير أن يجهزه بكل ما يحتاج إليه .

ويُقال إنه قدم معه أربعة عشر [٢] ألف جارية برسم خدمته

---

(١) روى صاحب (مسالك الأبصار) أن المهمندار الذى أرسل لاصطحاب منسا موسى قال له : « خرجت لملتقاه من جهة السلطان ، فأكرمنى إكراما عظيما ، وعاملنى بأجل الآداب ، ولكنه كان لايحدثنى إلا بترجمان مع إجادته اللسان العربى ؛ ولما قدم قدم للخزانة السلطانية حملا من التبر ، ولم يترك أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب ، وكنت أحاوله فى طلوع القلعة للاجتماع بالسلطان حسب الأوامر السلطانية فيأبى خشية تقبيل الأرض للسلطان ويقول : جئت للحج لا لغيره ، ولم أزل به حتى وافق على ذلك . فلما صار إلى الحضرة السلطانية ، قيل له : قبِّل الأرض ، فتوقف وأبى إباءً ظاهراً ، وقال : كيف يجوز هذا ؟ فأسر اليه رجل كان إلى جانبه كلاما ، فقال : أنا أسجد لله الذى خلقنى وفطرنى ، ثم سجد ، وتقدم إلى السلطان ، فقام له بعض القيام وأجلسه إلى جانبه وتحدثا طويلا ، ثم قام السلطان موسى ، فبعث إليه السلطان بالخلع الكاملة له ولأصحابه ، وخيلا مسرجة ملجمة ... إلخ » . راجع (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٥) . أما (المقريزى : السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٥٥) فقد أنكر أن منسا سجد للسلطان . وقال : « وطلع إلى القلعة ليسلم على السلطان ، وامتنع من تقبيل الأرض ، فلم يُجبر على ذلك ، غير أنه لم يمكن من الجلوس فى الحضرة السلطانية » ، راجع أيضا : (ابن كثير : المرجع السابق) .

(٢) فى (صبح الأعشى) : إنه كان يحمل آلته اثنا عشر ألف وصيفة لابسات أقبية الديباج

[خاصة] فأقبل أصحابه على شراء الجوارى من الترك والحبوش والمغنيات ، والثياب[١] ، فانحط سعر الدينار الذهب ستة دراهم[٢] .

وقدَّم [منسا موسى] هديته ، وخرج مع الركب بعد ما أوصى به السلطان الأمير سيف الدين أيتمش — أمير الركب — فسار رَكْباً وحدَه [فى] ساقة الحاج حتى قضى حجه .

وتأخر بمكة بعد الموسم أياماً وعاد ، فهلك كثير من أصحابه وجماله بالبرد حتى لم يصل معه إلا نحو الثلث منهم ، فاحتاج إلى قرض مال كثير من التجار[٣] ، واشترى عدة كتب من فقه المالكية ، وأنعم السلطان عليه بخيول وجمال .

وسافر إلى بلاده بعد ما تصدق فى الحرمين بمال كثير ؛ وكان إذا حدَّثه أصحابه فى أمر كشفوا رؤوسهم عند مخاطبته — عادة لهم — .

---

(١) زيادة عن (ب) .

(٢) فى (البداية والنهاية) أن سعر الذهب نزل بمقدار درهمين فى كل مثقال .

(٣) جاء فى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٦) نقلا عن (مسالك الأبصار) أن ابن أمير حاجب والى مصر ذكر أنه كان مع منسا موسى مائة حمل ذهبا ، أنفقها فى سفرته تلك ... حتى احتاج إلى القرض ، فاستدان على ذمته من تجار مصر عاملهم عليه فيه المكاسب الكثيرة ، بحيث يحصل لأحدهم فى كل ثلاثمائة دينار سبعمائة دينار ربحا ، وبعث إليهم بذلك بعد توجهه إلى بلاده .

الملك المجـــاهد على

[ابن الملك المؤيد داود][1] بن الملك المظفر

يوسف بن الملك المنصور عمر بن على

ابن رسول صاحب اليمن

حجَّ سنة اثنين وأربعين (١٨٤) وسبعمائة ، واطلع عليه [جبل عرفة][2] وقد وقف بنو حسن فى خدمته حتى قضى حجه .

وعزم على كسوة الكعبة ، فلم يمكّنه من ذلك أمير مكة ، فسار وهو حنق .

ثم حجَّ ثانياً فى سنة اثنين وخمسين وسبعمائة[3] ، وقد قدم عليه الشريف ثُقْبة بن رُمَيْثة ، وأغراه بأخيه عجلان ، وأطمعه فى مكة وكسوة الكعبة ، فسار فى عسكر كبير ، فبلغ ذلك الشريف عَجْلان .

وكان الأمير طاز قد حج فى جماعة من الأمراء ، فبلغهم قدوم صاحب

---

(١) ما بين الحاصرتين موجود فى (ل) فقط ، وبه يكمل الاسم والنسبة . راجع أيضاً : (زامباور : معجم الأنساب ، الترجمة العربية ، ص ١٨٤ — ١٨٥) . وقد حكم الملك المجاهد على اليمن من ذى الحجة سنة ٧٢١ إلى جمادى الآخرة سنة ٧٦٤ حيث خلفه ولده الملك الأفضل ضرغام الدين عباس بن على .

(٢) زيادة عن (ب ، ١٢٩ ب) و (ل) .

(٣) الأصل : « وأربعمائة » والتصحيح عن (ل) ، والذى ذكره صاحب النجوم الزاهرة (ج ١٠ ، ص ٢٢٦ وما بعدها) أن هذه الأحداث حدثت للملك المجاهد أثناء حجه فى سنة ٧٥١ لا سنة ٧٥٢ .

اليمن فى جحفل عظيم ، وأنه يريد يدخل مكة بلامة الحرب وحوله سلاح داريته[١] وطَبَرْ داريته[٢] ليقيم فتنة ، فبعثوا إليه : « أنه من يريد الحج إنما يدخل مكة بذلٍّ ومسكنة ، وأنت تريد تبتدع[٣] بدعة فاحشة ، ونحن لا نمكنك من الدخول على هذه الصفة ، فإن أردت السلامة فابعث إلينا الشريف ثُقْبة يكون عندنا حتى نقضى الحج »

فلم يجد بداً من الإذعان ، و بعث ثقبة ، فأكرمه الأمراء .

و بعث الأمير طاز إلى[٤] صاحب اليمن بالأمير طُقْطاى فى جماعة من المماليك ليكونوا فى خدمته حتى يقضى حجه ، فساروا إليه ، وأبطلوا السلاحدارية وحمل الغاشية[٥] وسائر ما كان اهتم به ، ومشوا فى خدمته حتى دخل الحرم وسلم على الأمراء واعتذر إليهم ، وأضمر أنه يصبر حتى

---

(١) سلاح دار أى ممسك أو صاحب سلاح السلطان ، وله الإشراف على السلاح خاناه السلطانية ، ويختار عادة من بين الأمراء المقدمين . (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨) .

(٢) الطبر دار ، هو الذى يحمل الطَّبَر حول السلطان عند ركوبه فى المواكب وغيرها ، وهو مكون من لفظين فارسيين : الأول طَبَر ومعناه الفأس ، والثانى دار بمعنى ممسك . (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٨) .

(٣) (ب) : « تبدع » .

(٤) الأصل : « نمازان » ، و (ل) : « طازاى » وما هنا قراءة يستقيم بها المعنى بعد مراجعة : (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٢٦) .

(٥) عبارة (النجوم الزاهرة) أكثر إيضاحا وهى : « فتوجهوا إليه ومنعوا سلاح داريته بالمشى معه بالسلاح ، و لم يمكنوه من حمل الغاشية ... إلخ » .

يرحل الأمير طاز ، ويثور هو وثُقْبة على من بقى مع أمير الركب ، ويأخذ عَجْلان ، ويملكان مكة .

فلما كان يوم مِنًى ركب الأمير بُزْلار — أمير الركب — من مكة ، فرأى خادم صاحب اليمن ، فاستدعاه إليه ، فامتنع من الحضور ، وضرب مملوكَ بُزْلار و بعض جنده بحربة ، ووقع الصوت فى الركب ، وركب بُزْلار إلى طاز ، وثار أهل اليمن بالسلاح ، فركب أمراء مصر وقت الظهر ، واقتتلوا مع اليمنيين ، وهزموا بزلار هزيمة قبيحة ؛ وأقبل عَجْلان — أمير مكة — بجيش كبير ، فأمره طاز أن يحفظ الحاج ؛ واستمرت الحرب إلى العصر ، وانكسر جيش اليمن ، وقُتل منهم جماعة ، وقُطع دهليز المجاهد ، وقُبض عليه ، ونُهبت أثقاله[(١)] .

وقضى الناس حجتهم ، وسار الأمير طاز بالمجاهد معه ، ورتّب فى خدمته جماعة من مماليكه ، وبالغ فى إكرامه ؛ ووصّى الأميرَ عجلان بأمه (٨٤ ب) وحرمه ؛ وكتب إلى السلطان يعرّفه بما وقع ، وتوجّه إلى مصر فقدم به فى العشرين من المحرّم سنة اثنين وخمسين وسبعمائة ، وصعد به إلى القلعة مقيداً فى يوم الخدمة ، فأوقف تجاه النائب ، والأمراء قعود ، حتى خرج أمير[(٢)] جاندار ، ودخل الأمراء إلى الخدمة بالإيوان ، وهو معهم ،

---

(١) توجد فى : (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢٩ وما بعدها) تفصيلات وافية عن هذا الصدام وهزيمة المجاهد وأسره ، فراجعه هناك .

(٢) الأصل : « الأمير » ، وهنا عن (ب) و (ل) .

فقبّل الأرض بين يدى السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، ثم فُكَّ قيدُه ، وأُنزل بالأشرفية من القلعة ، وأُطلق له راتب ، وأُقيم له من يخدمه ؛ ثم رُسم بسفره إلى بلاده ، فخرج معه الأمير قَشْتَمُر — شاد[1] الدواوين — ، وكُتب للشريف عَجْلان — أمير مكة — أن يجهّزه ، وخُلع عليه أطلسان[2] ، وركب فى الموكب ، واستأنس السلطان به ، وتردد إليه الناس ، واقترض مالا كثيراً ، واشترى المماليك والخيل والجمال ، وأتته الإنعامات من السلطان ، والتقادم من الأمراء[3] ، والتزم بحمل المال كل سنة على العادة .

وسار أول ربيع الأول ، فبعث قَشْتَمُر بالشكوى منه ، فرُسم [له][4] أن يقبض عليه ويسيِّره إلى الكَرَك ، ففعل ذلك ، وقبض عليه بالينبع ، وبعث به إلى الكَرَك .

وأقام (الملك المجاهد) بالكرك قليلا ، ثم أُفرج عنه ، وأُحضر إلى القاهرة[5] ، ووُبِّخ وعُنِّف تعنيفاً كبيراً من الأمراء ، ثم خُلع عليه ،

---

(١) (ب) : «شاة» وهو خطأ واضح . راجع : (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٣٠) .

(٢) فى الأصل ، وفى (ب) : « أطلسين » .

(٣) صيغة (ب) : « وأتته الإنعامات والتقادم من الأمراء » .

(٤) زيادة عن (ب) و (ل) .

(٥) وصل المجاهد من الكرك إلى القاهرة يوم السبت تاسع شعبان سنة ٧٥٢ ، وكان السلطان الملك الناصر حسن قد عزل ، وولى مكانه أخوه السلطان الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون فى ٢٨ جمادى الآخرة من سنة ٧٥٢ هـ .

وجُهّز فى النيل ليتوجه إلى بلاده من عَيْذاب فى البحر ، وأنعم عليه الأمراء والسلطان بأشياء كثيرة ، ووصل إلى بلاده ، وقد ضبطت له أمه المملكة ، وأقام بها حتى مات فى سنة تسع وستين[١] وسبعمائة ، وملك بعده ابنه الأفضل عباس .

الملك الأشرف شعبان
ابن حسين بن محمد بن قلاوون

جلس على تخت الملك وعمره عشر سنين فى نصف شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة ؛ وقام بأمر الملك الأمير يَلْبُغا العُمَرى الخاصكى[٢] إلى أن قُتل فى ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة ، فقوى أمره قليلا ، ثم قتل أَسَنْدَمر بعد يَلْبُغا ، واشتد أمره ، وأوقع باليَلْبُغاويّة الأجلاب[٣]

---

(١) الذى ذكر فى : (زامباور : معجم الأنساب ، الترجمة العربية ، ص ١٨٤) أنه توفى سنة ٧٦٤ ، وفيها خلفه ابنه الملك الأفضل ضرغام الدين عباس .

(٢) (ب) : « الحاسكى » والمماليك الخاصكية هم الحرس الخاص للسلطان الذين يحيطون به ويحرسونه ويلازمونه حتى فى أوقات خلوته . انظر : (خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ، ص ١١٥ — ١١٦) و (Ayalon : *Studies on the Structure of the Mamluk Army*. pt, I, (in) *B.S.O.S. Vol. XV 1953. pp. 208-228*).

(٣) الأجلاب أو الجلبان أو المشتروات هم المماليك الجدد الذين يشتريهم السلطان الجديد بعد توليته ، أو الأمير . راجع : (Ayalon : *Op. Cit*)

وشرع بالاهتمام بالحج فى سنة ثمان وسبعين ، وخرج أطلاب[١] السلطان يوم الأحد ثالث عشره (١٨٥) فجر" عشرين قطار هجن بقماش ذهب ، وخمسة عشر قطاراً بعبي" حريراً[٢] ، وقطاراً ملبس[٣] خليفتى ، وقطاراً بقماش أبيض برسم الإحرام ، ومائة رأس[٤] خيـل مشهورة[٥] ، وكجاوتين[٦] ، وتسع مِحفّات ، كلها بأغشية حرير مزركش ، وستة وأربعين زوج محاير ، وخزانة عشرين جملا ، وقطارين جمالا تحمل خضراً مزدرعة ، ومن الجمال المحمّلة[٧] شيئاً كثيراً .

وركب يوم الاثنين رابع عشره ، فأقام بسرياقوس[٨] إلى يوم الثلاثاء

---

(١) طُلْب — والجمع أطلاب — لفظ كردى كان معناه الأمير الذى يقود مائتى فارس فى ميدان القتال ، ويطلق أيضا على قائد المائة ، وكان أول ما استعمل هذا اللفظ بمصر والشام أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم عدل مدلوله فأصبح يطلق على الـكتيبة من الجيش (bataillon) . راجع : (المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٢٤٨ ، هامش ٢) و (Dozy : *Supp. Dic. Ar.*)

(٢) الأصل : « يعنى » ولا معنى لها ، وما هنا عن (ل) ، وفى : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٦٩) : « بقماش حرير » .

(٣) كذا فى الأصل ؛ وفى (النجوم الزاهرة) : « بلبس » .

(٤) كذا فى الأصل : وفى (ب) و (النجوم) : « ومائة فرس ملبسة » .

(٥) الأصل : « مشهورة » ، وما هنا عن (ب) و (ل) .

(٦) الـكجاوة كلمة فارسية معناها هودج النساء .

(٧) تجد وصفا طريفا لهـذه الجمال وأحمالها فى : (النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٧٠) .

(٨) سرياقوس قرية مصرية قديمة ، وهى الآن من قرى مركز شبين القناطر =

ثانى عشرينه ، واستقل بالمسير ومعه من الأمراء المقدمين تسعة ، ومن الطبلخانات خمسة وعشرون[١] ، ومن العشراوات خمسة عشر[٢] .

فركب قَشْتَمُر[٣] المحمدى اللفّاف — أحد العشرات — وقُرطاى — رأس نوبة — وجماعة يوم السبت ثالث ذى القعدة خارج القاهرة ، وسلطنوا[٤] أمير على بن السلطان ، فقدم الخبر (يوم الأحد) رابعه[٥] بأن السلطان وصل إلى عقبة أيلة يوم الثلاثاء ، وأقام إلى ليلة الخميس ، فركب عليه المماليك بسبب تأخير النفقة[٦] ، فانهزم السلطان فى نفر يسير ، فخرجوا إلى قبة[٧] النصر ، فقبضوا على الأمير صرغتمش وغيره من الأمراء وقتلوهم .

= بمديرية القليوبية وتقع على الشاطىء الشرقى لترعة الإسماعيلية شمال القاهرة ، وعلى بعد ١٨ كيلومترا منها . انظر : (تعليقات محمد رمزى فى النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٧٩ ، هامش ١) .

(١) الأصل : « وعشرين » ، والتصحيح عن (ب) و (ل) .

(٢) تجد أسماء هؤلاء الأمراء جميعا فى : (النجوم الزهرة ، ج ١١ ، ص ٧٠ — ٧١) .

(٣) الأصل : « طاش قرا » وما هنا عن : (ب) و (ل) و (النجوم ، ج ، ١١ ، ص ٧٢) .

(٤) (ب) : « وسلطوا » ، وتجد فى : (النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٧٢ — ٧٣) تفصيلات وافية عن خلع الأشرف شعبان وتولية ابنه على .

(٥) الأصل : « ثانيه » والتصحيح عن (ب) و (النجوم) .

(٦) فى : (النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٧٣ وما بعدها) تفصيلات وافية عن ثورة الجند ضد الأشرف عند عقبة أيلة ثم فراره وعودته إلى القاهرة .

(٧) (ب) : « عقبة النصر » ، وما بالمتن هو الصحيح . وقد قال المرحوم محمد رمزى فى تحقيقاته : (النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤١ ، هامش ١) : « ذكر المقريزى =

وقُبض على الأشرف من بيت امرأة فى ليلة الإثنين خامس ذى القعدة ، فكان آخر العهد[1] به ، قُتل خنقاً . والله سبحانه أعلم [بالصواب ، وإليه المرجع والمآب][2] .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
[والحمد لله رب العالمين][2]

= فى الجزء الثانى من خططه ص ٤٣٣ : عند الكلام على قبة النصر ، وص ١١١ من الجزء المذكور عند الكلام على ميدان القبة : أن هذه القبة كانت زاوية يسكنها فقراء العجم ، وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الأحمر ، تجاه قبة الأمير يونس الدوادار الظاهرى بآخر ميدان القبق من بحريه ، جددها الملك الناصر محمد بن قلاوون .

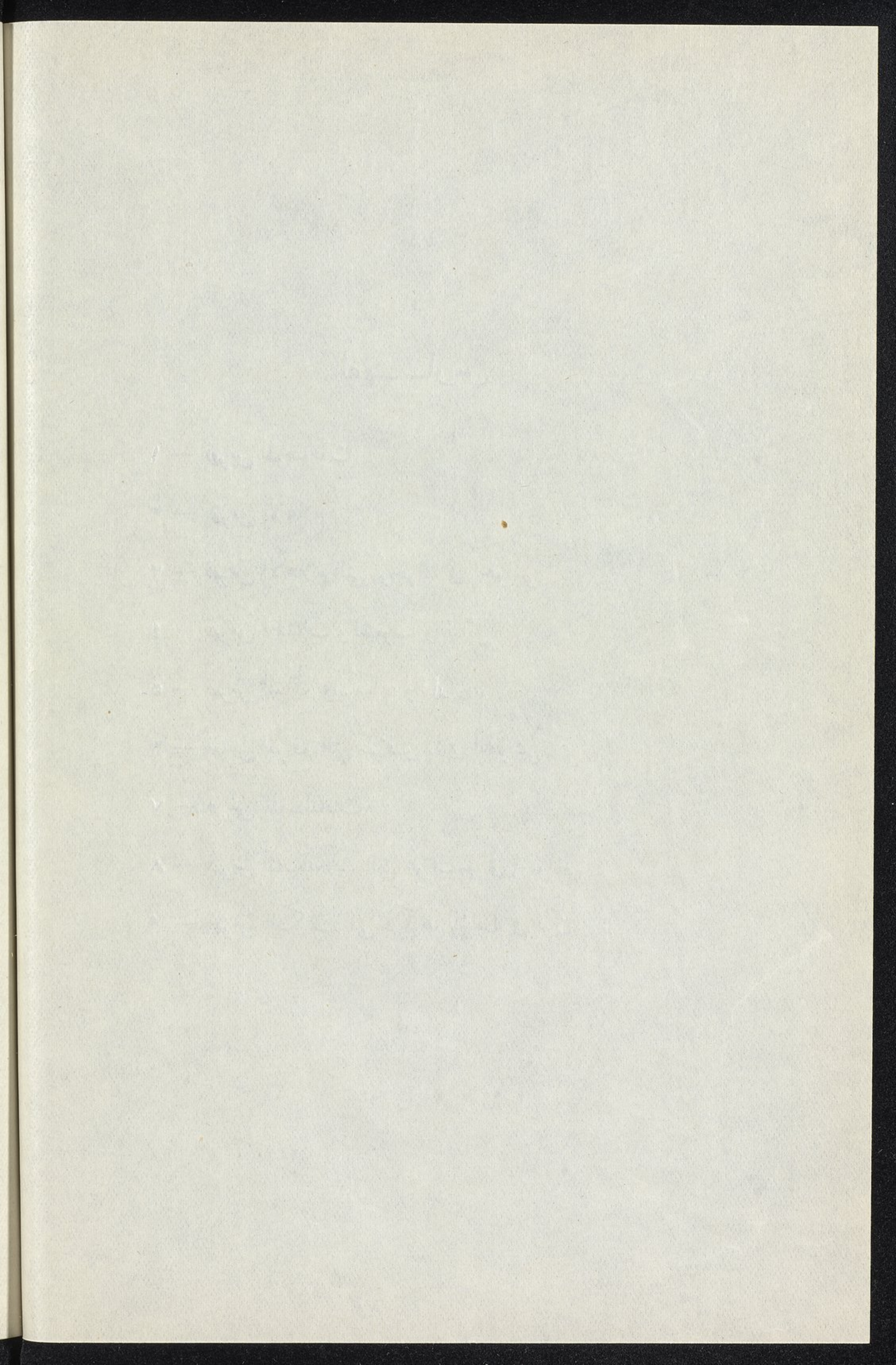
ويستفاد مما ذكره السخاوى فى التبر المسبوك فى حوادث سنة ٨٣٤ — ٨٥٤ ﻫ : أن السلطان أمر بإقامة صلاة استسقاء فى الصحراء ، فخرج سائر الناس ونصب للإمام منبر بين تربة الظاهر برقوق وبين قبة النصر بالقرب من الجبل .

من هذا يتبين أن القبة المذكورة كانت واقعة فى الفضاء الكائن شرقى خانقاه السلطان برقوق وقبة الأمير يونس الدوادار بينهما وبين الجبل الأحمر ، وقد اندثرت هذه القبة ، وأما خانقاه السلطان برقوق فلا تزال موجودة وتعرف اليوم باسم تربة برقوق بجبانة المماليك ، وأيضا قبة الأمير يونس لا تزال موجودة شمال تربة السلطان برقوق » .

(١) ذكر (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٧٥ — ٧٦) أن اسم هذه المرأة آمنة زوجة المشتولى ، وبيتها الذى اختفى فيه الأشرف كان فى الجودرية ؛ ثم روى كيف قبض على الأشرف شعبان وهو مختف فى ملابس امرأة ، وكيف قتل ، والآراء المختلفة التى قيلت فى كيفية قتله ودفنه ومكان هذا الدفن .

(٢) زيادة عن (ب) ، وقد ورد فى حرد نسخة (ل) فقط تاريخ الانتهاء من كتابتها ، وهو : « كتب من أصل بخط مصنفه ؛ قال مؤلفه — رحمه الله — : حررته جهد القدرة فصح . مؤلفه أحمد بن على المقريزى ، فى ذى القعدة سنة ٨٤١ » فكأن المقريزى ألف هذا الكتاب قبل وفاته بأربع سنوات ، فقد توفى سنة ٨٤٥ ﻫ .

الفهـــارس



١ — فهرس الموضوعات

الصفحات

---

٢ — فهرس الأعلام (١)

---

(١) أسقطنا ـ عند الترتيب الأبجدى للأعلام ـ أداة التعريف ، وألفاظ ابن وأب وأم ، كذلك رتبنا الأعلام تبعاً للأسماء الحقيقية . ولم نعتمد الكنى وألقاب الملك أثناء هذا الترتيب ، ومع هذا فقد أثبتنا الكنى والألقاب فى مواضعها ، وأشرنا أمام كل كنية الى الاسم الحقيقى للعلم ليسهل على القارئ مراجعته .

٣ — فهرس الأعلام التى ترجم لها فى الحواشى [1]

(١) الرقم الأول يرمز للصفحة والثانى للحاشية .

٤ — فهرس الجماعات والشعوب والقبائل

---

٥ — فهرس المواقع والأمكنة والبلدان

---

٦ — فهرس الأماكن التى عُرِّف بها فى الحواشى

٧ — فهرس المصطلحات

---

٨ — فهرس المصطلحات التى عُرِّف بها فى الحواشى

---

٩ — فهرس الكتب التى ذكرها المؤلف فى المتن

للناشر

تأليفا :

١ — مصر والشام بين دولتين ، القاهرة ، ١٩٤٥

٢ — رفاعة الطهطاوى (مجموعة أعلام الإسلام) ، القاهرة ، ١٩٤٦

٣ — مجمل تاريخ دمياط ، الإسكندرية ، ١٩٤٩

٤ — تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٥١

٥ — تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، القاهرة ، ١٩٥٢

٦ — الإسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، القاهرة ، ١٩٥٢

نشرا :

مكتبة المقريزى الصغيرة :

١ — إغاثة الأمة بكشف الغمة ، بالاشتراك مع الدكتور محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٤٠

٢ — نحل عبد النحل ، القاهرة ، ١٩٤٦

٣ — اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة ، ١٩٤٨

٤ — الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، القاهرة ، ١٩٥٥

٥ — المقاصد السنية بمعرفة الأجسام المعدنية (تحت الطبع)

٦ — مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، لجمال الدين بن واصل الجزء الأول ، مطبوعات إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٩٥٣

٧ — الجزء الثانى (فى المطبعة و يظهر قريباً) .

